الدكتور عدنان بن علي رضا بن محمد النحوي

إن الدين عند اللّٰه الإسلام دين جميع الأنبياء والرسل

الطبعة الأولى
١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

شركة دار النحوي
للنشر والتوزيع المحدودة

إلى
لقاء المؤمنين
وبناء الجيل المؤمن

إن الدين عند اللّه الإسلام

دين جميع الأنبياء والرسل

الدكتور عدنان بن علي رضا بن محمد النحوي

الطبعة الأولى
١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

شركة دار النحوي
للنشر والتوزيع المحدودة

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

النحوي، عدنان علي رضا
ان الدين عندالله الإسلام دين جميع الانبياء والرسل./
عدنان علي رضا النحوي - الرياض، ١٤٣٢هـ
١٩٤ ص ١٧ * ٢٤ سم
ردمك : ٩ - ٠٥ -٨٠٧٢-٦٠٣-٩٧٨
١- الإسلامية ٢- المعاملات (فقه الاسلام)
٣- الاسلام - مبادئ عامة أ- العنوان
ديوي ٢١٠ ١٤٣٢ / ٤١٤٣

رقم الإيداع : ٤١٤٣ / ١٤٣٢
ردمك : ٩ - ٠٥ -٨٠٧٢-٦٠٣-٩٧٨



الطبعة الأولى
١٤٣٢هـ - ٢٠١١م



شركة دار النحوي للنشر والتوزيع المحدودة
هاتف ٤٩٢٤٣٣٩- فاكس ٤٩٣٤٨٤٢
الموقع الإلكتروني : www.alnahwi.com
البريد الإلكتروني : info@alnahwi.com
ص.ب ١٨٩١ الرياض ١١٤٤١
المملكة العربية السعودية



موقع

" لقاء المؤمنين"

على الشبكة الدولية للمعلومات

www.alnahwi.com

يهدف هذه الموقع إلى المساهمة مع المواقع الإسلامية

الأخرى وجهود العاملين إلى بناء الجيل المؤمن وبناء

الأمة المسلمة الواحدة التي تكون فيها:

كلمة الله هي العليا

نأمل التلطف بزيارة هذا الموقع وإبداء ملاحظاتكم

ونصائحكم على البريد الإلكتروني:

ifno@alnahwi.com

كما يسرنا دعوة إخوانكم وأصدقائكم لزيارة الموقع.



إلى

كل من يريد أن يعرف

الحق كما جاء في الكتاب والسنة

عن دين الأنبياء والمرسلين .



الافتـتـاح

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ .

[آل عمران : ١٩]



كلمات مضيئة

للدكتور عدنان علي رضا محمد النحوي

تمهيد وتوضيح
لِـ : « كلماتٌ مضيئة »

أضع في أول كلِّ كتابٍ أُصدره هذه المجموعة من « **كلمات مضيئة** »، وسبب ذلك أَنَّ هذه الكلمات تُمثِّل قواعدَ رئيسةً في الفكر الإسلامي ، والفقه ، والتربية الإسلامية، والدعوة الإسلامية ، وسائر ميادين ممارسة منهاج الله في الواقع، وبذلك فهي تمثل جزءاً هاماً **من نهج مدرسة لقاء المؤمنين وبناء الجيل المؤمن ومناهجها.** ومن ناحية أخرى فإن هذه القواعد غائبة عن ميدان الممارسة الإيمانية في واقع المسلمين، مما أصبح من الواجب التذكير بها والإلحاح بها، لتصل إلى أكبر عدد من القرّاء ، عسى أن تذكِّر وتنصح وتثير الرغبة في التأمل والتفكير ، والانطلاق إلى محاسبة النفس ، والتغيير ، والدعوة والبلاغ .

ولو وضعناها في كتاب واحد فقط من كتبنا لغاب الهدف المرجوُّ ، وغابت الناحية التربوية التي نهدف إليها بالتذكير على أوسع نطاق ممكن ، وانقطعت فائدتها مع الأيام .

إن هذه القواعد في «**كلمات مضيئة**» تحتاج إلى تجديد التذكير بها بين حين وآخر لما لها من أهمية كبيرة ، وحاجة ملحّة في واقعنا اليوم ، وبناء واقعنا غداً إن شاء الله .

وأخيراً فإن هذه «الكلمات المضيئة» وما تحمله من قواعد ، نابعةٌ كلها من أسس الإيمان والتوحيد ، ومن منهاج الله ، ومن مدرسة النبوّة الخاتمة، ومن وعي الواقع من خلال منهاج الله .

* * *

كلمات مضيئة

للدكتور عدنان علي رضا محمد النحوي

بناء الإنسان

إنّ بناء عمارة مهما عظمت يَسهل إذا قِيسَ ببناء الإنسان على قواعد الإيمان والتوحيد وعلى قواعد المنهاج الرباني وفق التوجيه النبوي . فتلك مهمة يقوم بها المهندسون والفنيون ، أما بناء الإنسان وإعداده وتدريبه فهي مهمة بعث الله من أجلها الرسل والأنبياء الذين خُتِموْا بمحمد ﷺ ، ثم جعلها مهمة الأمة المسلمة الواحدة الممتدة مع الزمن ، على أساس من المنهاج الربّاني ـ قرآناً وسنّة ولغة عربيّة ـ .

* * *

حقُّ التعاون بين المؤمنين ووجوبه

يجب أن نتعاون فيما أمر الله أن نتعاون فيه ، ويعذر بعضنا بعضاً فيما أذن الله لنا أن نختلف فيه ، ليكون التعاون أو الاختلاف خاضعاً لأمر الله وشرعه ، لا لاجتهاداتنا وأهوائنا ، ونختلف بهذا النصّ مع من يقول : « نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه » .

* * *

خافوا على أنفسكم

أيها الناس ! أيها المسلمون ! أيها الدعاة ! كما تُظهِرون الخوف على الإسلام ، مع أَنَّ للإسلام ربّاً سينصره بجنود ينصرون الله ربهم ويوفون بعهدهم معه ، فخافوا على أنفسكم حين تقفون بين يدي الله ، يسألكم عما فعلتم في الحياة الدنيا ، وهل نصرتم الله كما أمركم ،

وتجنبْتُم الفتن التي نهاكم عنها ، والصراع والشقاق وتنافس الدنيا؟! خافوا على أنفسكم كما تخافون على الإسلام .

* * *

إذا غاب النهج والتخطيط

إذا غاب النهج والتخطيط على أساس الإيمان والتوحيد والمنهاج الرّباني في واقع أي أمّة، فلا يبقى لديها إلا الشعارات تضجّ بها ، ولا تجد لها رصيداً في الواقع إلا مرارة الهزائم وتناقض الجهود واضطراب الخُطا، ثم الشقاق والصراع وتنافس الدنيا في الميدان ، ثمّ الخدر يسري في العروق ، ثمّ الشلل ، ثم الاستسلام ! ثم تكون النهاية.

* * *

فريقان : فريق له نهجه وخطته ، وفريق لا نهج له ولا خطة

إذا التقى فريقان : فريق له نهجه وخطته ، فعرف بذلك دربه ومراحله وأهدافه ، فنهض وصدق عزمه لها ، وفريق لا نهج له ولا خطة إلا الشعارات يُدوّي بها ، فإن الفريق الأول بنهجه وتخطيطه يستطيع أن يحوّل جهود الفريق الثاني لصالحه ، فيجني النصر ، ويجني الآخر الهزيمة والخسران والحسرة .

* * *

الأهداف الربانية وتحقيقها

إن الأهداف الربانيّة لا يمكن تحقيقها إلا بجنود ربّانيين ، ووسائل وأساليب ربانية. وهذه وتلك تحتاج إلى بناء وإعداد ربّاني .

* * *

العاجز

من عَجَزَ عن إِصلاح نفسه فهو أعجز عن إصلاح غيره أو إصلاح المجتمع . كم من الذين ينادون بالإصلاح والتغيير هم أحوج الناس إلى الإصلاح .

* * *

تَقبُّل النصيحة

من سدَّ أُذنيه عن النصيحة فَقَدَ فرصة عظيمة لمعرفة أخطائه ، وفرصة أعظم لمعرفة سبيل الإصلاح والعلاج ، وتعرَّض أكثر للمتاهة والضلال .

* * *

إتباع الحقِّ لا الهوى

إِن الهوى لا يُصْلحُ بل يُفْسِد ويُدَمِّر ، وإن اتِّباع الحقِّ هو سبيل الإصلاح للفرد والأسرة والجماعة والأمة ، وكذلك للبشريَّة كلها .

* * *

من صدقَ الله نجا

بين الحق والهوى باب ابتلاء وتمحيص . من صَدَقَ الله نجا ودخل إلى الحق ، ومن ضلَّ هلك ودخل إلى الهوى .

* * *

تكامل الإسلام
وتكامل الدعوة إِليه

ليس من الحكمة أن نكتفي بإِعلان مبادئ الرحمة والعفو والتسامح والسلام في الإسلام، حين يكون مثل هذا الإعلان مظهراً من مظاهر الضعف والهوان والاستسلام أو يوحي به. ولكن الحكمة والواجب أن نُظْهِرَ تكامل الإِسلام من عفو وتسامح ، ومن عقوبة وحزم ، ومن سلام وحرب ، ومن حكمة وتشريع ، ومن إِيمان وتوحيد . فالإسلام لا يتجزأ بل هو دين شامل كامل لكل أمور الحياة الدنيوية والأخروية .

* * *

أين تبتدئ المعركة

إن المعركة مع أعداء الله تبتدئ أولاً في نفسك أيها الداعية المسلم ، فإن انتصرت فيها، فيمكن الانتقال إلى جولة بعد جولة ! وإن هُزِمْتَ بها فستُهزَم في سائر المعارك! وتظل هذه المعركة ممتدة مع المسلم حياته كلها حتى يلقى الله .

* * *

الحَيْدُ عن الصراط المستقيم

إنّ الله سبحانه وتعالى جعل صراطه الحقَّ مستَقيماً وواضحاً ، حتى لا يضِلَّ عنه أحد. وجعله سبيلاً واحداً حتى لا يُخْتَلَف عليه . وجعله صراطاً مستقيماً واحداً ليجمع المؤمنين أمّة واحدةً وصفاً كالبنيان المرصوص. فلماذا تاه المسلمون عنه فتفرقّوا ، واختلفوا عليه فتمزَّقوا ، ثم ضَعُفوا وهانوا ؟!

عن أبي الدرداء قال : خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نذكر الفقر ونتخوفه ، فقال:

" الفقر تخافون ؟ والذي نفسي بيده لتُصَبَّن عليكم الدنيا صباً حتى لا يزيغكم بعدي إِنْ أزاغكم إلا هي " ، وأيم الله ، لقد تركتكم على مثل البيضاء ، ليلها ونهارها سواء.

[ابن ماجه : المقدمة . أحمد : المسند ٤/ ١٢٦ ، الفتح الرباني :١٩/ ٣١٣]

* * *

حتى يفيقوا أو يهلكوا

وكلّما توانى المؤمنون عن الوفاء بالعهد والتزام الحقّ والدعوة الصافية في صفٍّ واحد كالبنيان المرصوص ، أنزل الله بهم البلاء والعقاب والعذاب ، حتى يستيقظوا أو يهلكوا. وقد يكون من العقاب تسلط الأعداء .

* * *

أخوة الإيمان
عاطفة ومسؤوليات

إنَّ أُخوّة الإيمان ليست عاطفة فحسب ، ولكنَّها مسؤوليات وواجبات ، وحقوق والتزامات ، لا تسقط حتى لو تغيَّرت العاطفة . إنَّها رابطة المؤمنين في الأرض جميعاً، رابطة يجب الوفاء بها . إنها رابطة ربَّانيّة أمر الله بها المؤمنين جميعاً ، حتّى يكون الولاء الأوّل لله ، والعهد الأوّل مع الله ، والحب الأكبر لله ورسوله . وبغير ذلك لا تتحقّق أخوة الإيمان .

* * *

لو حقق المسلمون
أخوّة الإيمان في واقعهم

لو أنَّ المسلمين حققوا في واقعهم « أُخوة الإيمان » كما أمر بها الله سبحانه وتعالى ورسوله محمد ﷺ لأنزل الله نصره عليهم ، ولسادوا العالم ! ولأعزّ الله الجميع ! كما حدث في صدر الإسلام .

* * *

أخوة الإيمان
والولاء الأول لله
والعهد الأول مع الله وحده
والحبّ الأكبر لله ولرسوله

لا تَصْدُق أخوّةُ الإيمان في ميدان الممارسة والتطبيق إلاّ إذا كان الولاء الأول لله وحده دون شرك ، والعهد الأول مع الله وحده ، والحبُّ الأكبر لله ولرسوله ، ثمَّ يَنبع كلُّ ولاء وعهد وحبٍّ في الحياة الدنيا من الولاء الأوّل والعهد الأول والحبّ الأكبر .

* * *

كلمة المؤمن
صادقة طيبة

كلمة المؤمن طيّبة ، قويّة، واعية ، لا تنحرف عن الصراط المستقيم . إنها بَرَكَةٌ للناس، ونورٌ في الحياة ، وسلاح في الميدان . وهي أساس حرّيّة الرأي ، وأساس النصيحة ، وقاعدة الشورى متى ما أدركها الإنسان المؤمن عاش في ظلها تقياً نقياً سعيداً .

* * *

الخلل فينا والأخطاء منّا

لا يختلف مؤمنان في أنّ كلّ ما يجري في الكون والحياة ، من أمر صغير أو كبير ، هو بقضاء الله وقدره : قضاءً نافذاً ، وقدراً غالباً ، وحكمةً بالغةً ، وحقاً لا ظلم معه أبداً. ومن هنا وجب علينا شرعاً أن ننظر في أنفسنا ، في واقعنا ، فالخلل فينا ، والأخطاء منا، والتقصير جليٌّ كبير ! .

* * *

أيها المسلم ! إنك مسؤول ومحاسَب !

إنك مسؤول أيها المسلم ! ، وإنك محاسَب . ولا يغرَّنَّك أن تقول لنفسك : إنَّ المسؤولين هم العلماء والدعاة وحدهم . نعم إنهم مسؤولون ومحاسَبون ، وإنك مسؤول ومحاسب. ولا تنفع الندامة والحسرة يوم القيامة ! فانهض إلى مسؤوليّتك أيها المسلم . قبل فوات الأوان .

* * *

منهاج الله ودراسته وتدبّره وممارسته في واقع الحياة

أيها المسلم ! لا تكن كالميت بهجرك دراسة منهاج الله وتدبّره وممارسته في واقع الحياة، فاطلب الحياة والنور ، والهداية والفلاح بذلك ، والقاعدة لذلك :

- أن تكون دراسة منهاج الله ـ قرآناً وسنة ولغة عربية ـ منهجيّة يوميّاً .
- وأن تكون صحبة عمر وحياة لا تتوقف أبداً ، حتى يلقى المسلم ربّه !
- أن يتدرَّب المسلم على رد الواقع بأحداثه وأفكاره إلى منهاج الله ردّاً أميناً ، ليصاحب ذلك دراسة منهاج الله .

* * *

التَزِمْ النَّهج الإيماني للتفكير

أخي الكريم ! أيها المسلم ! إن الله سبحانه وتعالى خلقنا على فطرة سليمة ، ووهبنا القدرة على التفكير ، فأول ما نطلبه ونوصي به هو أن نُفكّر ، أن نفكر التفكير الإيماني، لأن الله سبحانه وتعالى أمرنا بالتفكير على نهجٍ إيمانيٍّ ونور وهداية بآيات كثيرة في القرآن الكريم .

* * *

الفقه في الإسلام

الفقه في الإسلام يقوم على ركنين : المنهاج الرباني ـ قرآنا وسنة ولغة عربيّة- والواقع. فلا يوجد فقه خاص يسمى « **فقه الواقع** » ، فالفقه كله قائم على الواقع والمنهاج الرباني على مرور الزمان واختلاف المكان فهو مواكب لكل تغيرات الحياة.

* * *

الفقه وامتداده وحدوده

كل مسلم مكلّف أن يجتهد فيما هو ضمن مسؤوليته الشرعية وحدود اختصاصه ووسعه وعلمه ، مما سيحاسَب هو عليه يوم القيامة ، دون أن تتعطل الاستعانة بإمكانات المجتمع ، أو الشورى ، على أن يهيئ المسلم نفسه للمسؤوليات المكلَّف بها ، ويتزوّد لها بالزاد الحق ، ويكون ذلك مرجعه الكتاب والسنة وأقوال العلماء الربانيين .

* * *

المسؤوليّة والفقه

لا فقه دون وفاء بالمسؤولية ، ولا وفاء بالمسؤولية دون فقه.

* * *

العصبيات الجاهلية والدعوة الإسلامية

إن العصبيات الجاهلية التي حرّمها الإسلام عقبة كبيرة أمام قيام الدعوة الإسلامية الواحدة في الأرض . وإن هذه العصبيات الجاهلية ثمرةُ تمكُّنِ الأَهواء والمصالح المادية الدنيوية في النفوس ، بعيداً عن تصور الدار الآخرة . ومن أخطر أشكال هذه العصبيات الجاهلية ما يلي :

- عصبية الإنسان لنفسه وهواه على غير حق ودعماً للباطل !
- العصبية العائلية على غير حق ودعماً للباطل ! إذا كانت تحصره في بوتقتها ومجالها الضيق .
- العصبية الحزبيّة التي يفسد فيها الولاء وتتمزّق بها الأمة .
- العصبية الوطنية والإقليمية والقومية على غير حق ودعماً للباطل .

* * *

من أسس الإيمان والتوحيد

إن من أسس الإيمان والتوحيد التبرُّؤ من العصبيات الجاهلية كلها ، ليكون الولاء الأول لله وحده ، والعهد الأول مع الله وحده ، والحبُّ الأكبر هو لله ورسوله ، لينبع كل ولاء وموالاة في الدنيا من الولاء الأول لله ، وكل عهد في الدنيا من العهد الأول مع الله ، وكل حبّ في الدنيا من الحبّ الأكبر لله ورسوله . فتقوم بذلك أخوة الإيمان، وتقوم الأمة المسلمة الواحدة ، وتقوم الدعوة الإسلامية الواحدة في الأرض.

* * *

الدعوة الإسلامية واحدة

إن الله سبحانه وتعالى واحد ، وإن الدين عند الله واحد هو الإسلام ، وإن أمّة الإسلام واحدة ، فيجب أن تكون الدعوة الإسلامية في الأرض واحدة ، على نهج واحد، ومنهج رئيس واحد، وأهداف ربانيّة مُحدَّدة واحدة، فالإسلام وسع البشرية كلها . لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى .

* * *

منهج
الدعوة الإسلامية الواحدة ونهجها

يجب أن تكـون الدعوة الإسلامية في الأرض واحدة ، ويجب أن يكون لها منهج تفصيلي تطبيقي واحد ، ونهج على الصراط المستقيم واحد . ويجب أن ينبع المنهج والنهج من : أسس الإيمان والتوحيد ، ومن منهاج الله – قرآناً وسنة ولغة عربية–، ومن مدرسة النبيّ الخاتم محمد ﷺ ، ومن وعي الواقع بعد ردّه إلى منهاج الله ، ليُلَبّي حاجة الواقع الذي يمرّ به المسلمون، وبذلك يصبح للدعوة الإسلامية الواحدة أهداف ربانيّة واحدة، تحملها أمة مسلمة واحدة، هي خير أمّة أُخرجِت للناس، لتكون صفًّا واحداً كالبنيان المرصوص .

* * *

نهج
مدرسة لقاء المؤمنين
وبناء الجيل المؤمن
ونظرياتها العامة ومناهجها التطبيقية ونماذجها
ووسائلها وأساليبها ودراساتها المفصلة
وأهدافها المحدّدة ونظامها الإداري

إننا نقدم نهج مدرسة لقاء المؤمنين وبناء الجيل بكامل أجزائه المترابطة ليكون أساس لقاء المؤمنين وبناء الجيل المؤمن ، نابعاً من المصادر الأربعة : أسس الإيمان والتوحيد، منهاج الله - قرآناً وسنة ولغة عربيّة - ومدرسة النبوّة الخاتمة مدرسة محمد ﷺ، ومن وعي الواقع بعد ردّه إلى منهاج الله ليلبّي حاجة الواقع .

* * *

جوهر
الدعوة الإسلامية الواحدة

إن جوهر الدعوة الإسلامية الواحدة هو تبليغ رسالة الله إلى الناس كافّة ، كما أُنزِلَتْ على محمد ﷺ وتعهّدهم عليها تبليغاً وتعهُّداً منهجيّين ، حتى تكون كلمة الله هي العليا في الأرض .

* * *

تبليغ الدعوة كما أنزلت من عند الله فرضٌ على المسلمين وتكليف من عند الله

﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف :١٠٨]

* * *

﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾

[النحل :١٢٥]

* * *

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾

[فصلت :٣٣]

* * *

﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً ﴾ [الأحزاب :٣٩]

* * *

﴿ قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَداً . إِلا بَلاغاً مِنَ اللَّهِ وَرِسَالاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ﴾

[الجن :٢٢،٢٣]

* * *

﴿ لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً ﴾

[الجن :٢٨]

* * *

﴿ هَذَا بَلاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ ﴾

[إبراهيم :٥٢]

* * *

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾

[المائدة :٦٧]

* * *

﴿ وَمَا عَلَيْنَا إِلا الْبَلاغُ الْمُبِينُ ﴾ [يس : ١٧]

* * *

وفي الأحاديث الشريفة :

عن ابن عمر رضي الله عنهما عن الرسول ﷺ قال :

(بلّغوا عنّي ولو آية ....)[1]

* * *

(١) رواه أحمد : المسند ٢/ ١٥٩،٢٠٢،٢١٤ ، الفتح : ١/ ١٧٧ ، الترمذي : ٤٢/ ١٣/ ٢٦٦٩ ، صحيح الجامع الصغير وزيادته رقم : (٢٨٣٧) .

المسؤولية
عن تبليغ هذه الدعوة

إنها مسؤولية المسلمين جميعاً ، كلٌّ قدر وسعه الصادق الذي وهبه الله له ، والذي سيحاسَب عليه يوم القيامة ، بعد أَن يتزوَّد بالزاد الرئيس الضروري : من صفاء الإيمان، وصدق العلم بمنهاج الله ـ قرآناً وسنة ولغة عربية ـ ، ووعي الواقع من خلال منهاج الله.

* * *

أيها المسلم ! انهض وتزوّدْ بالزاد الحق ، وانزلْ ميدان الدعوة في صف واحد كالبنيان المرصوص ، وبلِّغْ رسالة ربك كما أُنزلت على محمد ﷺ إلى الناس كافة وتعهَّدْهُمْ عليها، وساهمْ في بناء لقاء المؤمنين والجيل المؤمن ، ومن ثمّ بناء الأمة المسلمة الواحدة ، حتى تكون كلمة الله هي العليا في الأرض ، وسوف تجد أثر ذلك على نفسك وولدك وحياتك كلها وسوف تجد السعادة بمشيئة الله سبحانه وتعالى .

* * *

المقـــدمة

انتشر في وقتنا الحاضر مصطلحات تُنسَب إلى الدين وهي بعيدة عن التصور الإسلامي ، ولكنها تستخدم ملتصقة بالإسلام . وقد يستخدمها العامة والمثقفون وبعض الدعاة وبعض العلماء .

من بين هذه المصطلحات الغريبة العجيبة « الديانات السماوية التوحيدية الثلاث. ويقصدون بها الإسلام والنصرانية واليهودية ، فكان من الواجب التنبيه إلى هذا الخطأ الذي يقع فيه الكثيرون ، وهو خطأ مخالف لنصوص كتاب الله - القرآن الكريم ، ومخالف لحقيقة الرسالات السماوية التي بعث الله بها عباده المرسلين.

وهناك أيضاً فهم خاطئ لبعض الآيات الكريمة ، مثل قوله سبحانه وتعالى:

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ . يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾

[المائدة : ٢٠-٢١]

وكذلك فإن التصور عن اليهود ومن هم وما علاقتهم ببني إسرائيل ، وما موقفهم من الأنبياء والرسل ، وما كان موقفهم من محمد ﷺ ، هو تصور مضطرب بين المسلمين، ينظر معظمهم إلى أنهم أعداؤنا لأنهم أخذوا فلسطين وطردوا أهلها المسلمين فحسب . نعم ! هذا سبب كبير للعداء بيننا وبينهم ، ولكنْ هناك أسباب أُخرى تدفع إلى الكراهية والخلاف في أجواء لا تحكم فيها دولة الإسلام كما كانت في عهد الرسول محمد ﷺ ، في أجواء ضعف فيها المسلمون ، وقوي فيها نفوذ اليهود في العالم كله .

يضاف إلى ذلك أن هناك بعض الآيات الكريمة في كتاب الله، ظهر في مناسبات مختلفة أن فهمها لدى بعض المسلمين مضطرب ومتناقض ، فكان لا بد من محاولة جلاء معنى هذه الآيات الكريمة.

هذه الموضوعات وغيرها هي التي دفعت لتقديم هذا الكتاب في هذه المرحلة من تاريخنا اليوم .

ولقد سبق أن عرضنا بعض هذه الموضوعات في كتب سابقة لنا ، ولكن يبدو أنها لم تكن كافية ، وأن الموضوع مع اليهود بخاصة وأهل الكتاب بعامة مازال يحتاج إلى توضيح بعد توضيح . ومثل هذا التوضيح هو جزء من المعركة الدائرة اليوم بيننا وبين اليهود ، ونحن في وهن وضعف ، وهم في قوة واستعلاء .

وكثر كذلك بين المسلمين اليوم الدعوة إلى التجديد والتغيير في الإسلام ، دون أن يكون هنالك ضوابط أو نهج محدد أو مفهوم إيمانيّ حق لمعنى التجديد ليكون التجديد نابعاً من الكتاب والسنة ، وليس تغْييراً لهما .

منذ زمن طويل وأعداء الله يبذلون غاية جهودهم لنشر الفتنة في العالم الإسلامي، وتغيير التصور الإيماني الحق الذي بُعِث به جميع الأنبياء والرسل الذين ختموا بمحمد ﷺ وبكتابه المبين ـ القرآن الكريم . وقامت لديهم من أجل ذلك مؤسسات متخصصة تدعمها دولهم وحكوماتهم في هذا العدوان الخطير ، العدوان الآثم ، وقد نجحوا في ذلك نجاحاً غير قليل ، ولكنّ الله سبحانه وتعالى حفظ دينه برسالته الخاتمة وكتابه الكريم ـ القرآن الكريم :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾

[الحجر :٩]

ومع ذلك ، فستبقى مسؤوليّة المسلمين المؤمنين أن يدفعوا هذا العدوان الممتد، ويدفعوا عن دينهم ، طاعة لله ورسوله . إنه ابتلاء من الله وتمحيص في الدنيا لعباده ، وسيحاسَبون على ذلك يوم القيامة . فعسى أن تكون هذه الكلمات في هذا الكتاب تأدية بعض الواجب في الدفاع عن دين الله الحق ، الإسلام ، يُضم إلى سائر جهود المخلصين الصادقين .

إنا نسأل الله أن يتقبل منا عملنا هذا ، عملاً خالصاً لوجهه الكريم ، نرجو جنته ومغفرته ورحمته ، إنه هو الوليّ الحفيظ . اللهمَّ رضاك والجنّة !

الرياض
١٤٣٢/١/١هـ
٢٠١٠/١٢/٧م

عدنان علي رضا محمد النحوي



الباب الأول

الفصل الأول : إن الدين عند الله الإسلام بُعِثَ به جميع الأنبياء والرسل .

الفصل الثاني : وإن هذه أمتكم أمّة واحدة .

الفصل الأول
إن الدين عند الله الإسلام
بُعِثَ به جميع الأنبياء والرسل

لقد كثر في الآونة الأخيرة ترديد مصطلح الديانات السماوية التوحيدية الثلاث أو ما يشابهها . ولقد أشرنا في أكثر من كتاب إلى أن هذا المصطلح خاطئ ومخالف لنصوص الرسالة الخاتمة كما أُنْزِلَت على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ . وجوهر ذلك أن الدين عند الله هو الإسلام ، دين واحد دين جميع الأنبياء والمرسلين ، بعثهم الله جميعاً بهذا الدين السماوي التوحيدي الواحد على مرّ العصور والأجيال :

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾

[آل عمران :١٩]

ونرى الحقيقة جليّة في هذه الآية الكريمة وما تدلّ عليه . فهي تقرِّر أَن الدين عند الله دينٌ واحد هو الإسلام ، وأن اختلاف أهل الكتاب لم يحدث إلا من بعد ما جاءهم العلم الحق من عند الله بغياً بينهم ، ظلماً وعدواناً وانحرافاً عن الحق ، ومن لا يؤمن بأن الدين عند الله واحد هو الإسلام فإنه بميزان الله كافر بآيات الله ، وإِنَّ الله سريع الحساب.

وكذلك قوله سبحانه وتعالى :

﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾

[آل عمران :٨٥]

وكذلك قوله سبحانه وتعالى :

﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ [آل عمران :٨٣]

وإنه لمن غير المعقول أن يبعث الله رسله بأديان مختلفة يتصارع الناس عليها ، ثم يحاسبهم يوم القيامة . فالله حقٌّ واحد ودينه حقٌّ واحد هو الإسلام كما بيّنه الله سبحانه وتعالى لنا وأكّده في آيات بيّنات ، وأكّد لنا الله سبحانه وتعالى في رسالته الخاتمة وكتابه المبين أنه بَعَث كل رسول بدين واحد هو الإسلام . فلننظر في بعض آيات الله البينات في هذا الصدد :

فهذا نوحٌ عليه السلام :

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ . فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس :٧١-٧٢]

نعم ! « **وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ** » ! دين واحد هو الإسلام ، وأمة واحدة هي الأمة المسلمة وكذلك مع إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ما جاءا إلا بالإسلام دين الله الواحد :

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ. رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ . رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ. وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ . إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ. وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة :١٢٧-١٣٢]

نعم ! وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ ،

وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ ،

فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ! » ،

تأكيد بعد تأكيد ، ورسول بعد رسول ، لتثبيت هذه الحقيقة الأساسية بأن الدين عند الله هو الإسلام دين واحد لا ثاني له .

وكذلك مع يعقوب وبنيه تأكيد بعد تأكيد :

﴿ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة :١٣٣]

ومع هذا التأكيد بعد التأكيد يأتي تأكيد جديد للحقيقة نفسها حتى لا يبقى أيُّ مجال للشك أو للغموض ، ولا يبقى عذر لأحد في أن لا يعي هذه الحقيقة .

﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [البقرة :١٣٥]

وكذلك تأكيد آخر على هذه الحقيقة الكونيّة الأساسية :

﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة :١٣٦]

وتتأكد هذه الآية الكريمة مرّة أخرى في سورة آل عمران :

﴿ قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ

﴿ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران :٨٤]

ثم يقرّر الله سبحانه وتعالى أن الدين عند الله هو الإسلام ، دينٌ واحدٌ ، دينُ جميع الأنبياء والمرسلين ، فمن ابتغى ديناً آخر فلن يُقبل منه وسيكون في الآخرة من الخاسرين:

﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾

[آل عمران :٨٥]

فأيُّ تأكيد وتوضيح يمكن أن يكون أكثر من هذا ؟! وإذا كان نوح عليه السلام أعلن عن نفسه أنه من المسلمين ، فإن سائر الأنبياء والمرسلين أعلنوا ذلك بصورة جليّة واضحة ، أعلنوا أن دينهم الإسلام ، ورسالتهم الإسلام : فهذا إبراهيم عليه السلام يقول عنه سبحانه وتعالى :

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ . هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ . مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًا وَلَا نَصْرَانِيًا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ . إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

[آل عمران :٦٥-٦٨]

وكذلك موسى عليه السلام :

﴿ وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ . فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ . وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [يونس :٨٤-٨٦]

فهذا موسى عليه السلام بلّغ قومه من بني إسرائيل رسالة الإسلام ، رسالة الله.

ونرى شدة ارتباط الإيمان بالإسلام في قوله: « **يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ ...** » **أي آمنتم بإله واحد هو الله سبحانه وتعالى ، ثم قال : « فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ»** . وكان بلاغ موسى عليه السلام لفرعون وقومه ، قويّاً بيّناً ، حتى إن فرعون أقرّ بالإله الواحد الذي آمنت به بنو إسرائيل وهو يغرق ويموت :

﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ . آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ . فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾

[يونس :٩٠-٩٢]

نعم ! « **... وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ !** » فقد كان يعلم إذن أن رسالة موسى عليه السلام هي الإسلام ، وأنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وكان بنو إسرائيل يعلمون هذه الحقيقة الرئيسة كما بلّغهم إياها رسول الله موسى عليه السلام ، فكيف وقع الانحراف بعد ذلك عند طائفة من بني إسرائيل ؟! ما وقع هذه الانحراف إلا من بعد أن جاءهم العلم جليّاً قوياً . وما كان ذلك إلا بسبب البغي والظلم :

﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [يونس :٩٣]

وكذلك :

﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ . إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا

الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ . فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [آل عمران ١٨-٢٠]

وكذلك :

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [الصف :٥]

فقد بلّغ موسى عليه السلام رسالة ربّه إلى قومه بني إسرائيل. فمنهم من آمن ومنهم من كفر . فلما زاغوا وضلّوا أزاغ الله قلوبهم لأنهم كانوا قوماً فاسقين ، والله لا يهدي القوم الفاسقين . وجاء في سورة المائدة :

﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾

[المائدة :٢٣]

وقوله سبحانه وتعالى : « قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ ... » أي يخافون الله بإيمانهم به وطاعتهم له ، وخشيتهم منه ، فتلك خصائص الإيمان الصادق وصفات المؤمنين الصادقين . وأما الذين لم يخافوا كما خاف هذان الرجلان لم يستقرَّ الإيمان في قلوبهم ، فقالوا لموسى عليه السلام :

﴿ .... فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾

[المائدة :٢٤]

وعيسى عليه السلام جاء قومه من بني إسرائيل بالإسلام يدعوهم إليه ويبشرهم برسول يأتي من بعده أسمه أحمد ، وهو النبيّ الخاتم محمد ﷺ :

﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ [الصف :٦]

وكذلك قوله سبحانه وتعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴾

[الصف:١٤]

وكذلك قوله سبحانه وتعالى :

﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾ [المائدة :١١١]

أما الذين آمنوا بعيسى رسولاً من عند الله وبرسالته الإسلام فهؤلاء كانوا مسلمين ، كما يتضح من الآية التالية أيضاً :

﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ . رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [آل عمران :٥٢-٥٣]

فهذه الطائفة من بني إسرائيل آمنت بالله ورسوله عيسى عليه السلام ، وبما أَنْزَلَ الله عليه . حتى قالوا : « **... وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ** » !

أما الطائفة الثانية من بني إسرائيل فهي التي كفرت بعيسى عليه السلام وبالله .

وهذه الطائفة لعنها الله كما ورد في سورة المائدة ، وهم اليهود :

﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ . كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ. تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ . وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾

[آل عمران :٨١]

لقد أصبحت هذه الطائفة الثانية من بني إسرائيل ، الطائفة التي كفرت بعيسى عليه السلام وبرسالته ، أصبحت موالية للكافرين والمشركين ويعملون المنكر ولا يتناهون عنه . ثم تأتي الآية التي تحدّد هذه الطائفة من بني إسرائيل بأنهم اليهود وأنهم أشدّ الناس عداوة للذين آمنوا شأنهم بذلك شأن الكافرين :

﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ... ﴾

[المائدة :٨٢]

تتابعت الآيات الكريمة في سورة المائدة لتصف الصفات السيّئة لدى هذه الطائفة من بني إسرائيل ، ثم خُتمت هذه الآيات بالآية الكريمة التي شمّلت هذه الطائفة وعرّفتها بأنهم اليهود ، وأنهم هم والمشركون أشد الناس عداوة للذين آمنوا . وارتبطت صفات اليهود ومواقفهم هذه بصفات المشركين ومواقفهم .

فيتَّضِح إذن أن بني إسرائيل انقسموا فريقين : فريق آمن فكان من المسلمين وكان دينهم الإسلام ، وفريق كفر فكان من الكافرين وهم اليهود كما سمّاهم القرآن الكريم ، وهم والمشركون أشدّ الناس عداوة للمؤمنين على مدى الدهر .

ولكن الانحراف عن دين الله الحق وقع ، حتى قالت اليهود إن دينهم هو

اليهودية، وقالت النصارى ، إن دينهم هو النصرانية وأصبحت اليهودية والنصرانية بما تحملان من انحراف رئيس أساسي لا تمثلان رسالة موسى وعيسى عليهما السلام ، الرسالة التي كانت تحمل ديناً واحداً هو الإسلام . ومن خلال نصوص الآيات الكريمة تبرز حقيقة التحريف كما سنعرضه بتفصيله في صفحات مقبلّة .

ولقد بالغ اليهود والنصارى بعد تحريفهم لدين الله الإسلام، وادعاء اليهود بأن ديانتهم اليهودية ، وادعاء النصارى بأن ديانتهم النصرانية ، لقد بالغوا بعد ذلك حتى قالوا لن يدخل الجنة إلا من كان يهودياً أو نصرانياً ، كما تثبت لنا الآية الكريمة وهي تردّ عليهم وتثبت باطلهم ، ثمّ يدور الخلاف بين اليهود والنصارى :

﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [البقرة :١١١-١١٣]

وامتدت الضلالة حتى أخذوا يدعون إلى اليهودية والنصرانية وما فيهما من تحريف لكلام الله :

﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ . قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾

[البقرة :١٣٥-١٣٦]

قول فصل : « **... بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** » ، **آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ ... لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ** !

تحريف وضلالة ، ثم خلاف وشقاق ، ثم دعوة إلى هذا الانحراف والتحريف ، وجاء القول الحق والبيان الفصل من عند الله يردّ على كل تحريف وضلالة .

ثم يردّ عليهم القرآن الكريم الردَّ المفحم ليكشف زيف دعواهم :

﴿ **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ . هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ . مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ . إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾

[آل عمران : ٦٥-٦٨]

وهل هناك ردّ أشدّ من ذلك ؟! إنه ردٌّ يكشف زيفهم وزيف ادعاءاتهم : « **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ** » !

إنها قضية كبيرة جداً تمسُّ أخطر قضية في حياة البشرية كلها . إنها تمس مصير الإنسان ومصير البشريّة كلها ! فلا عجب إذا أخذت في كتاب الله القرآن الكريم هذه المساحة الواسعة.

كثرت إدعاءات اليهود الباطلة حتى زعموا أنهم أولياء لله ، فردَّ الله عليهم دعواهم :

﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ**

بالظَّالِمِينَ . قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الجمعة :٦-٨]

ومع كثرة أخطائهم وانحرافهم عاقبهم الله بظلمهم بأن حرّم عليهم طيبات أُحلّت لهم :

﴿ فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ [النساء :١٦٠]

وتتوالى آيات الله تصف ظلم اليهود وفسادهم ، كما جاء في الآية (٤١) من سورة المائدة ، وتصف عقاب الله عليهم :

﴿ ... وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [المائدة :٤١]

وكذلك :

﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ . كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ . تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ [المائدة : ٧٨-٨٠]

نزلت عليهم اللعنة على لسان أنبيائهم ذلك بما عصوا وبما كانوا يعتدون ، وبما كانوا يتولّون الذين كفروا ، وبما كانوا يرتكبون من المنكر ولا يتناهون عنه :

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ ﴾

[السجدة :٢٢]

ولقد بعث الله موسى رسولاً إلى بني إسرائيل ، وآتاه الكتاب مفصّلاً يدعو إلى دين الله الواحد ، دين الإسلام :

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ [السجدة :٢٣]

لقد أنعم الله على بني إسرائيل نعماً كثيرة تذكرهم بالله وبفضله ، وكان من أجلِّ هذه النعم أن بعث فيهم موسى عليه السلام ، وآتاه الكتاب ، أي التوراة ، ليكون هدى لبني إسرائيل ، وليتأكّد لهم التذكير بعد التذكير . فانقسم بنو إسرائيل إلى فريقين : فريق آمن واهتدى وأسلم فكان من المسلمين :

﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾

[السجدة :٢٤]

وفريق آخر كفر وكان ظالماً حين أعرض عن آيات الله ، كما ذكرنا قبل قليل في الآية (٢٢) من سورة السجدة ، ونعيدها هنا للتأكيد :

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ﴾ [السجدة :٢٢]

فريقان : المسلمون « ... **أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ** » ، والفريق الأخر هم اليهود : « **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا ...** » !

والخطاب في كتاب الله إلى بني إسرائيل في كثير من الأحيان، ثم يبيّن فيه لنا

الله سبحانه وتعالى حقيقة الذين يوجّه إليهم الخطاب، فإما مؤمنون مصدّقون فهم من المسلمين ، وإما مكذّبون منكرون فهم اليهود ، كما بيّنّا في صفحات سابقة .

ومن الضروري أن نفرّق بين خطاب وخطاب ، وفريق وفريق ، وقد يحمل الخطاب نداءً واحداً : يا بني إسرائيل ! ليذكّر كُلّ فريق بأصل دينه الإسلام ، دين إسرائيل، دين يعقوب عليه السلام:

﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى . كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى . وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴾ [طه : ٨٠-٨٢]

ومن المواقف المهمة التي يجب أن ندرك فيها من هو المخاطب وعلى أيّ أساس ، خطاب موسى لقومه كما نعرضه في الصفحات المقبلة .

ولما كان الدين الحق من عند الله ديناً واحداً هو الإسلام ، فلا بُدَّ أن يكون المنتسبون إلى هذا الدين الحق الواحد مسلمين ، وأن يكونوا مع الدهر كله أمّة واحدة تعبد ربّاً واحداً وتدين بدين واحد هو الإسلام . ولذلك جاء قوله سبحانه وتعالى ليبيّن لنا هذه الحقيقة ، ففي سورة الأنبياء ، بعد أن يذكر الله سبحانه وتعالى عدداً من الرسل والأنبياء: إبراهيم، ولوطاً ، وإسحاق ، ويعقوب ، ونوحاً ، وداود ، وسليمان، وأيوب، وإسماعيل ، وإدريس، وذا الكفل، وذا النون يونس، وزكريا ويحيى ، عليهم السلام جميعاً، ثم يذكر الله سبحانه وتعالى مريم التي أحصنت فرجها فنفخ الله فيها من روحه وجعلها وابنها عيسى عليه السلام آية للعالمين ، بعد أن يذكر الله سبحانه وتعالى هؤلاء الرسل والأنبياء ، يبيّن لنا الله سبحانه وتعالى أن أتباعهم من الأنبياء يمثلون أمة واحدة تعبد ربّاً واحداً وتدين بدين واحد هو الإسلام :

﴿ إِنَّ هَـٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾

[الأنبياء :٩٢]

وكذلك في سورة « المؤمنون » يذكر الله سبحانه وتعالى أنه أرسل رسلاً ابتداء من نوح عليه السلام على مر الزمان ، ثم أرسل موسى وأخاه هارون بآياته البينات وسلطان مبين إلى فرعون وملئه، ثم يذكر عيسى بن مريم وأمه وكيف جعلها الله آية للعالمين ، ثم يختم سبحانه هذه المسيرة بقوله :

﴿ وَإِنَّ هَـٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴾

[المؤمنون :٥٢]

ربٌّ واحد هو الله سبحانه وتعالى ، ودين واحد بعث به جميع الرسل والأنبياء ، وأمة مسلمة واحدة .

ومن هنا يتبيّن لنا خطورة الانحراف والتحريف الذي قام به أهل الكتاب حتى فرّقوا المؤمنين طوائف وأحزاباً وشيعاً .

﴿ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ. فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ ﴾ [المؤمنون : ٥٣-٥٤]

وكذلك في سورة الأنبياء بعد أن ذكر الأنبياء والرسل وذكر أن هذه أمتهم أمة واحدة ، وأمر الله الجميع بأن يعبدوه ، وجاء بيان الجريمة التي ارتكبت بتمزيق الأمة المسلمة الواحدة :

﴿ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ﴾

[المؤمنون :٩٣]

نعم ! إن الدين عند الله واحد ، هو الدين الحق ، دين الإسلام ، بعث به جميع الأنبياء والمرسلين . ومع ذلك فقد يحسب بعضهم أن الدين مختلف وليس ديناً واحداً ، بسبب اختلاف بعض نواحي التشريع بين دين وآخر . ولكنّ هذا الاختلاف في بعض نواحي التشريع لا يغير حقيقة الدين وجوهره . ذلك لأن أساس الدين هو عقيدة التوحيد، ثم التشريع العام الثابت مع كل رسالة . فجميع الرسالات تحرّم الظلم والعدوان والكذب والزنى والسرقة والفواحش كلها والافتراء وجميع ما هو عام في حياة الإنسان من فتنة وفساد. ولا يمنع هذا أن يكون هنالك تشريع خاص مختلف في بعض القضايا الخاصة بالمرحلة والواقع والأمة ، لا تمثل الجزء الرئيس من الرسالة الربانية . ولذلك نجد سورة الأعراف تعرض لرسالة بعض الأنبياء والرسل وتبيّن شدة التشابه أو المساواة أو الاتحاد:

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ . قَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ . قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ . أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾

[الأعراف : ٥٩-٦٢]

وكذلك :

﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ. قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ . قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ . أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾ [الأعراف :٦٥-٦٨]

وكذلك :

﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ

جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ » [الأعراف :٧٣]

وكذلك :

« وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ »
[الأعراف :٨٥]

ونلاحظ من هذا العرض السريع الموجز وحدة الرسالات التي جاء بها الأنبياء والمرسلون من ربهم . فنوح عليه السلام وهو أول رسول يبعث إلى الناس يقول : « **أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي ...**»، وجاءت كلمة رسالات بصيغة الجمع لتوحي بأن الرسالة هذه وما يليها رسالة واحدة ، وكذلك قال هود عليه السلام : « **أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ** » . وأما صالح عليه السلام فإنه يختتم دعوته بقوله : « **فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ** » ! فجاءت هنا بصيغة المفرد : « **رسالة ربي** » ، وكأنها تؤكد أن جميع الرسالات كما وردت على لسان نوح وهود هي رسالة واحدة من عند الله . ويعود شعيب عليه السلام فيأتي بصيغة الجميع : « **فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ** » !

نعم ! هي رسالات متعددة ولكنها في جوهرها وحقيقتها رسالة واحدة لدين واحد يقوم على التوحيد الخالص لله ، وعلى كل تشريع ينبع من التوحيد نفسه .

ومن المناسب أن نقف هنا مع الآية الكريمة من سورة المائدة آية (٤٨) لنرى مدى انسجام ما قدمناه عن الرسالات والرسالة والدين أعلاه :

﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [المائدة :٤٨]

فقد أنزل الله سبحانه وتعالى كتابه المبين ، القرآن الكريم، على رسوله محمد ﷺ بالحق . وهذه حقيقة أساسية هي أن القرآن الكريم حقٌّ من عند الله . وجاء هذا الحق مصدّقاً للكتب السابقة كالتوراة والإنجيل والزبور وليس مناقضاً لها أو مخالفاً لها ، فهي كلها من عند الله جاءت بالدين الحق ، إلا أن القرآن الكريم كان يمثل الرسالة الخاتمة ، ومحمد ﷺ كان الرسول الخاتم ، فلا نبيَّ بعده ولا رسول ، ولا كتاب متنزلاً بعد القرآن الكريم . فجاءت الرسالة الخاتمة مهيمنةً على ما سبقها ، حالَّة مكانها ، رسالة الله الخاتمة إلى عباده جميعهم ، إلى الناس كافّة ، بينما جميع الرسالات السابقة كان كلُّ نبيٍّ يُبْعَث إلى قومه خاصَّة ، ومع ذلك ظل الدين الحق من عند الله ديناً واحداً هو الإسلام ، يحمل جوهر الدين وأساسه وهو عقيدة التوحيد والتشريع العام الثابت للناس جميعاً ، وتشريعاً خالصاً بكل قوم ومرحلة ، كما جاء في الحديث الشريف :

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن الرسول ﷺ قال : « **أعطيت خمساً لم يُعطَهُنَّ أحد من الأنبياء قبلي : نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصلِّ ، وأحلّت لي الغنائم ولم تحلَّ لأحد قبلي ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبيّ يبعث إلى قومه خاصة وبُعِثْتُ إلى الناس كافة** » . [الشيخان والنسائي][1]

(١) صحيح الجامع الصغير وزيادته : (١٠٥٦) .

وأمر الله تعالى محمداً ﷺ أن يحكم بين الناس بهذه الرسالة الخاتمة، ولا يتبع أهواء أهل الكتاب الذين حرّفوا التوراة والإنجيل، فقد جعل الله لكلِّ قوم شرعة خاصة بهم ومنهاجاً خاصّاً بهم مع رسالة التوحيد الجامعة والتشريع العام ، ولو شاء الله لجعل الرسالات كلها واحدة بكل أجزائها ، ولكن جاء الاختلاف في التشريع الخاص ابتلاءً من الله سبحانه وتعالى وتمحيصاً لهم ، ولتتسابق كل أمة إلى طاعة الله بعمل الخيرات والإحسان . ويوم القيامة ينبئهم الله بما كانوا فيه يختلفون .

ولنتدبر هذه الآية الكريمة أيضاً :

﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴾

[الشورى :١٣]

فما وصّى الله به نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى «وكذلك سائر الأنبياء والمرسلين» من الدِّين هو الذي أوصى به محمداً ﷺ .

نخلص من ذلك إلى الحقيقة الرئيسة ألا وهي أن الدين عند الله واحد هو الإسلام ، بعث الله به جميع الرسل والأنبياء . وما كان ليقع الاختلاف بين الناس في الدين وما أنزل الله لولا البغي والظلم والهوى :

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾

[آل عمران :١٩]

الفصل الثاني

وإن هذه أمتكم أمّة واحدة

لقد بيّنا في الفصل السابق قضايا رئيسة وقواعد أساسية ضرورية لفهم بعض أسس الماضي مع الأنبياء والمرسلين وفي واقعنا اليوم .

خلافاً لواقع المسلمين اليوم ، فإن الله سبحانه وتعالى يأمر المؤمنين على مدى الدهر أن يكونوا أمة واحدة وصفّاً واحداً . ولا يعني هذا أن لا يكون هناك اختلافات في الآراء والاجتهادات . فالاختلاف بالنسبة للإسلام له وجهان : إما هو خلاف مشروع يحمل الحجة من الكتاب والسنة ولا يفرّق الأمة شيعاً وأحزاباً ، ويحلّ الخلاف بالرجوع إلى الكتاب والسنة والتدبر بهما عن طريق الأئمة العلماء وأولي الأمر والمؤسسات الإيمانية الربّانية ، ليصل الجميع إلى تصور واحد ، أو لصدور قرار من الجهة المختصة شرعاً بالرأي الواحد مطابقاً للكتاب والسنة . وإما خلاف يسبب الشقاق والتفرّق والتمزق ، فهذا محرّم قطعاً لأنه يهدم أسساً وركناً ركيناً من هذا الدين الحق . وهذا الركن الركين هو أن المؤمنين على مدى الدهر وفي كل واقع يجب أن يكونوا أُمّة مسلمة واحدة .

إن الله سبحانه وتعالى حق واحد لا شريك له . وهو واحد بأسمائه الحسنى وصفاته وخصائصه الربانية :

﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ . هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ . هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾

[الحشر: ٢٢ـ٢٤]

وكذلك :

﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف :١٨٠]

وكذلك :

﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ [البقرة :٢٥٥]

وكذلك :

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ. لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الحديد : ١-٣]

وآيات أخرى كثيرة بيّنات تكشف لنا حقيقة الألوهية ووحدانيتها وأسماءها الحسنى .

ونود هنا أن نؤكد أن تصور الألوهية دون شرك ، وتصور الوحدانية ، يؤخذ ذلك كله من الكتاب والسنة بصورة كاملة يقينية، ولا يوجد أي مصدر آخر بديل عن هذين المصدرين ، فهما وحدهما يوفيان بهذه القضية وفاء كاملاً .

هذه هي القاعدة الأساسية الأولى التي تنهض عليها أيُّ قواعد ربانية أخرى لتكتمل الصورة وتكتمل معاني العبودية لله والتوحيد له .

إن الله واحد لا شريك له ، ولذلك فالدين عند الله واحد أيضاً ، هو الدين الإسلامي ، كما ذكرنا سابقاً .

فالله حقٌّ واحد لا شريك له ، والدين حق واحد هو الإسلام. ولا يعقل أبداً إن يبعث الله لعباده بأديان مختلفة يتصارع عليها الناس ثم يحاسبهم الله يوم القيامة ! لا يُعقل هذا أبداً لأنه مخالف لمعنى التوحيد الذي لا شركَ فيه ، ولا يُعقل لأنه مخالف لرحمة الله بعباده ولعدالته ، فرحمته وعدالته تقتضي أن يبعث لعباده جميعهم الحق والدين الحق حتى لا تلتبس الأمور عليهم وحتى يعبدوه حق عبادته ، وحتى تسقط حجة الكافرين والمنافقين . ولذلك جاء قوله سبحانه وتعالى :

﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا . وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا . رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾

[النساء :١٦٣-١٦٥]

ويؤكد الله سبحانه وتعالى هذه الحقيقة بما أوحى به وأنزله على رسوله ونبيه الخاتم محمد ﷺ ، وبما يشهد الله به والملائكة وكفى بالله شهيداً :

﴿ لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [النساء :١٦٦]

إذن : فالله حق واحد لا شريك له ، والدين حق واحد هو الإسلام . هو الحق من عند الله ، وهو ما تقبله الفطرة ، وما تكشف عنه رحمة الله بعباده وعدالته ، بعث الله رسله بهذا الدين الحق الواحد في رسالات متعددة تحمل كلها الدين ذاته .

وبعث الله محمداً ﷺ النبي والرسول الخاتم ، فلا نبيّ ولا رسول بعده ، بُعث بالدين ذاته دين الإسلام ، بالرسالة الخاتمة المهيمنة على الرسالات كلها والمصدّقة لها :

﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا . مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الأحزاب :٣٩ـ٤٠]

فلقد بعث الله محمداً ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين ليكون مصدّقاً لما بين يديه من الكتاب المنزّل من عند الله على من سبقه من الرسل ، وليكون أيضاً مهيمناً عليها ، خاتماً لها ! فلا يحكمُ بعدُ إلا بالكتاب المبين المصدق :

﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [المائدة :٤٨]

ويؤكد الله سبحانه وتعالى وجوب الحكم بما أنزل الله في الرسالة الخاتمة :

﴿ وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ . أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة :٤٩ـ٥٠]

وسبب ذلك هو ما غيّر اليهود والنصارى في دينهم الإسلام كما جاء به رسلهم فحرّفوا وبدلوا ، ولذلك أكد الله على رسوله محمد ﷺ أن يحكم بما أنزل الله عليه ، لأنه حق لم يحرّف ولم يبدّل ، ولأن ما كان في التوراة والإنجيل قد تعرض للتحريف .

ولم يقفِ الأمر عند هذا الحد بأن يحكم محمد ﷺ بما أنزله الله عليه ، ويدع ما مسّه

التحريف والتبديل ، بل جاءت بعد ذلك أحكام أخرى حاسمة :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾

[المائدة :٥١]

حكم حاسم قاطع ! ذلك لأن الولاء أساس في الإيمان الحق المبني على دين الإسلام ، فإذا اضطرب الولاء ومسّ الدينَ التحريفُ والتبديل ، فقد اضطرب الدين كله ، فحسم الله سبحانه وتعالى الأمر بذلك ، لا يحلّ للمؤمنين أن يتخذوا من اليهود والنصارى أولياء ، ولا من الكفار :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾

[المائدة :٥٧]

قضية الولاء أساسية في الإيمان والتوحيد ، وهي قضية أساسية في بناء الأمة المسلمة الواحدة كما أمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين أن يكونوا أمة واحدة مع الدهر كله ، مادام الدين الحق واحداً ، والولاء الحق واحداً :

﴿ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴾

[المؤمنون :٥٢]

وكذلك :

﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾

[الأنبياء :٩٢]

نعم ! إنها أمة واحدة ، ذلك لأن تتبع كلها ديناً واحداً هو الإسلام ، وتعبد ربّاً واحداً هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ، خالق كل شيء ورب كل شيء !

إنها أمة واحدة ، جاءها رُسُلٌ متعددون برسالات متعددة، وفترات متعددة ، كلهم يدعون إلى دين الله الحق الواحد ، دين الإسلام ، فلو اتبعوا كلهم رسلهم لكانوا أمة واحدة .

إن الله رحيم بعباده ، لطيف بهم ، عادل معهم ، فقد أرسل لكل أمة رسولاً يحمل لهم الدين الحقّ ، ليعبدوا كلهم إلهاً واحداً هو الله الذي لا إله إلا هو :

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ [النحل :٣٦]

إن الله أعلم بخلقه . فلقد خلق الخلق وأعطى كل إنسان فطرته السليمة النقية التي تحمل حقيقة الإيمان ، لا يفسدها إلا ارتكاب المعاصي والآثام ، وجعل الله سبحانه وتعالى الحياة الدنيا دار ابتلاء وتمحيص ، أعطى الله فيها لعباده الفطرة السليمة ، والآيات البينات في السموات والأرض ، وبعث الرسل منذرين مبشرين ، حتى لا يبقى لأحد حجّة في ضلالة بعد الرسل :

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن الرسول ﷺ أنه قال :« **ما من مولود إلا يُولد على الفطرة ، فأبواه يُهوّدانه ، أو يُنصّرانه ، أو يمجّسانه ، كما تنتج البهيمةُ بهيمةً جمعاء ، هل تحسُّ فيها من جدعاء** » [الشيخان وأبو داود][1]

(١) صحيح الجامع الصغير وزيادته (٥٧٨٤) .

هذه هي سنة الله في هذه الحياة الدنيا ، تمضي على قدر حقّ من الله سبحانه وتعالى ، وقضاء نافذ ، وحكمة بالغة . وحمل الله الإنسان في هذه الحياة الدنيا أمانة يحاسب عليها ، وأخذ عليه العهد والميثاق.

وأهم أسس هذه الأمانة والعهد والميثاق ، تبليغ رسالة الله تبليغاً منهجيّاً إلى الناس كافة ، وتعهدهم عليها تعهداً منهجيّاً، حتى تكون كلمة الله هي العليا . وعبّر منهاج الله عن هذه الأمانة بمصطلحات أربعة : العبادة ، الخلافة ، العمارة ، الأمانة .

ومن أهم ما حملته أمة محمد ﷺ في الرسالة الخاتمة أن تقوم بالوفاء بهذا العهد وهذه الأمانة ، لأنها تحمل الرسالة الخاتمة :

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾

[آل عمران : ١١٠]

هذه هي الأمة المسلمة الواحدة التي يريدها الله ، والتي يجب أن يكون أهل الكتاب منها ، ليكون الجميع أمة مسلمة واحدة ، لولا ما انحرف فيه أهل الكتاب مما عرضناه في فصل سابق .

الأمة المسلمة الواحدة أمر من عند الله !

الأمة المسلمة الواحدة ممتدة مع الرسل والأنبياء جميعهم ، لأن لهم جميعاً ديناً واحداً هو الإسلام .

من هذا العرض الموجز ندرك خطورة قضية الأمة المسلمة الواحدة ، التي أمر الله بها ، والتي قطّعها أهل الكتاب بما حرّفوا به كتبهم المنزلة من عند الله ، وبما ارتكبه المسلمون اليوم من تفرّق وتمزّق ، حتى لم يعد هنالك أمة مسلمة واحدة تحمل العبادة

والأمانة والخلافة والعمارة في الأرض كلها ، تجتمع فيها الرسالات كلها التي جاءت من عند الله بدين واحد هو الإسلام .

إنها مسؤولية كبيرة وخطيرة أمام كل إنسان اليوم . فإن تفرّق المسلمين أضعف القدرة على تحقيق الهدف الأكبر في الدنيا ، وهو أن تكون كلمة الله هي العليا . وإنها مسؤولية المسلمين اليوم أن يحققوا هذه القضية في أنفسهم ، فيهم ، في مسيرتهم ، في إيمانهم، في لقائهم جميعاً على رسالة محمد ﷺ ، الرسول النبي الذي عاهد جميعُ الرسل والأنبياء رَّبهم الله أن يصدّقوه وينصروه :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران :٨١]

لقد كان واجب أهل الكتاب جميعاً أن يهبّوا لتصديق محمد ﷺ ، ولنصرته واتباعه ، لتمتدَّ الأمة المسلمة الواحدة في الأرض كلها . ولكنهم نكثوا عن ذلك ، كما سيتبيّن لنا في فصل مقبل قول حيي بن أخطب اليهودي، بعد أن زار الرسول ﷺ ، وقال لأخيه أبي ياسر بن أَخطب حين سأله : أهو هو ؟! قال حيي : نعم ! هو هو ! قال أبو ياسر : أعرفته وتثبّتَّ منه ؟ قال : نعم. قال : فما موقفك منه ؟ قال : عداوة ما حييت !

لقد عرف حُيَيُّ بن أخطب أن محمداً ﷺ هو النبيّ الخاتم الذي جاء وصفه واسمه في التوراة ، فعرفه ، وامتلأ قلبه حقداً ، فضلّ وأضلّ ! وأما عبد الله بن سلام فقد عرفه باسمه وبوصفه كما هو مثبت عندهم في التوراة ، فآمن وصدق ونصر . وكذلك مخيريق . كما سنفصّل في هذا الأمر في فصل لا حق .

من هنا ندرك خطورة موقف أهـل الكتاب من رسالـة محمد ﷺ، ففي موقفهم معصية لله سبحانه وتعالى ، إذ يأمرهم بالوفاء بالعهد الذي أخذه منهم حسب الآية الكريمة من سورة آل عمران التي ذكرناها أعلاه .

بالرغم من انكفاء أهل الكتاب وعدم نصرتهم لرسول الله ﷺ فإن المهمة أصبحت في عنق أمة محمد ﷺ ، الأمة المسلمة الواحدة التي بناها صفّاً واحداً ، خير أمة أخرجت للناس ما استمسكوا بكتاب الله وسنّة رسوله ﷺ ، وأطاعوا الله فيما أمرهم وأطاعوا رسوله ﷺ .

ولذلك يخاطب الله سبحانه وتعالى أصحاب محمد ﷺ وأمته الممتدة مع الدهر ، يخاطبهم وينذرهم أن ينقلبوا على أعقابهم :

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ [آل عمران :١٤٤]

أيها المسلمون انهضوا إلى الأمة المسلمة الواحدة وأعيدوا عزتها في الدنيا حتى تنالوا العزة في الآخرة .

﴿ ... وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

[المنافقون :٨]

فالعزة أولاً جميعاً لله يُعزّ من يشاء ويذل من يشاء . والله يُعز رسوله محمداً ﷺ ، ويعزّ المؤمنين الصادقين ، ويذلّ الكافرين ومن يواليهم :

﴿ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ [النساء :١٣٩]

وكذلك :

﴿ وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾

[يونس :٦٥]

ولا أعتقد أبداً أن واقع المسلمين الممزّق اليوم يرضي الله سبحانه وتعالى ، حيث كل حزبٍ فرح بما لديه .

ولا أرى النصر يتنزّل من عند الله إلا على أمة مسلمة واحدة أَخبَتَتْ إلى ربها وأقامت حكم الكتاب والسنة فيها . وإلى هذه الأمة الواحدة أعطى الله عهده :

﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾

[غافر:٥١]

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [النور :٥٥]

أيها المسلمون ، اخشوا الله ولا تخشوا الناس ، والتفوا أُمة واحدة تعبد رباً واحداً على دين واحد ، ولها دعوة واحدة .

لذلك ندعو اليوم إلى **مدرسة لقاء المؤمنين وبناء الجيل المؤمن** ، على نهج واحد نابع من أسس الإيمان والتوحيد ، ومن منهاج الله ، ومن مدرسة محمد ﷺ ، ومن وعي الواقع من خلال منهاج الله ، عسى أن تلتقي القلوب على هذا النهج المفصل الذي يشمل:

* النظريّة العامة للدعوة الإسلامية .
* المناهج المفصّلة ونماذجها المفصّلة .
* التدريب بأنواعه الإيمانية .
* النهج والتخطيط .
* ميزان المؤمن .
* التقويم بأنواعه المحددة .
* الخطة اليومية والأسبوعية والسنوية .
* النظام الإداري المفصّل ، وغير ذلك من قواعد النهج المبيّنة فيه .

هذا مع كتب النهج التي تفصل كل جزء من منهج هذه المدرسة . ويمكن متابعتها بالإضافة إلى الكتب ، عن طريق الموقع الخاص بها:

www.alnahwi.com

ولنتذكر قوله سبحانه وتعالى مما ذكرناه في الصفحات السابقة ، وكذلك قوله سبحانه وتعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴾

[الصف :٤]



الباب الثاني

الفصل الأول : أهم صفات اليهود وخصائصهم .

الفصل الثاني: اليهود بين الماضي والحاضر .

الفصل الثالث: يحرّفون الكلم عن مواضعه .

الفصل الأول
أهم
صفات اليهود وخصائصهم

لقد وقف القرآن الكريم مع بني إسرائيل وقفات كثيرة وطويلة . وكان لكل وقفة غاية وهدف . فمن الوقفات ما كان تذكيراً لبني إسرائيل بعهدهم مع الله ، وبنعمه الكثيرة عليهم التي تفرض أن يزداد إيمانهم بالله بهذه النعم ، وهذا التذكير . إنه تذكير بالعهد وتذكير بالحق الذي يجب أن يلتزموه ، وكأن هذا كله كان دعوة واضحة لهم إلى الإسلام ، إلى الإيمان الحق . ولنأخذ بعض هذه الآيات لنتدبّر ما فيها من مواعظ :

﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ . وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ . وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ . وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ . أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ . وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ . الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ . يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ . وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ [البقرة : ٤٠-٤٨]

كل كلمة في هذه الآيات الكريمة توجب الوقوف عندها والتدبّر الواعي ، لندرك فضل الله ونعمته ورحمته وهو يخاطب بني إسرائيل ويدعوهم إلى الإسلام ، إلى دين الله الواحد ، الإسلام :

اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ... !

وَأَوْفُوا بِعَهْدِي ... !

وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ ... !

وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ... !

وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا ... فتحرفوا كتاب الله !

وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ... !

وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ... وتخفوا اسم النبيّ الخاتم محمد ﷺ !

وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ....!

أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ ... !

وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ .... !

وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ .... !

يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ..... !

وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ....

وتختم هذه الآيات الكريمة من تذكير ودعوة ونذير ، بالنذير الأكبر :

« **وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ** » !

إنه يوم القيامة بكل أهواله التي عرضها وفصّلها القرآن الكريم ، إنه يوم العرض

ويوم الحساب ، إنه يوم الفصل ، يوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً ، ولا الابن عن والديه، ولا الوالد عن بنيه، ولا أحد عن أحد شيئاً !

لقد سبق أن بينّا في الفصل السابق أن بني إسرائيل انقسموا قسمين واضحين بموقفهم من دعوة الرسل . قسم آمن واستجاب فكانوا مسلمين ! وقسم كفر بالأنبياء وبالله صراحة أو نفاقاً وخداعاً وهؤلاء الذين لعنهم الله وكانوا موالين للمشركين ! إنهم اليهود !

وجاءت هذه الآيات الكريمة من سورة البقرة رحمة من الله تخاطب الفريق الذي كفر من بني إسرائيل ، تخاطبهم وتذكِّرهم وتدعوهم وتنذرهم . فما استجاب إلا القليل القليل !

نعم ! جاء الخطاب عاماً بالنداء : يا بني إسرائيل ! حتى يُذَكِّر الله المخاطبين بيعقوب الذي كان مسلماً مؤمناً بالله الواحد الأحد ، على ملة إبراهيم عليه السلام !

وجاء الخطاب عاماً لبني إسرائيل ، لأن الجميع : المؤمنين والفاسقين ، يفيدهم التذكير والدعوة والنذير ! إنه نداء من الله تخشع له قلوب المؤمنين توبةً واستغفاراً وتمسّكاً بالحق ، وتقسو قلوب الكافرين وهم يصرّون على عنادهم وكفرهم ، حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون .

ونعرض هذه الآيات والمواقف لندرك من هم اليهود اليوم، ولندرك حقيقة مواقفهم السياسية والاجتماعية والفكرية . إنهم يمثلون نهجاً واضحاً من الضلالة برز في أوروبا وأمريكا وفي الشرق يحملون أفكاراً بعيدة عن الإيمان والتوحيد ، مثل فرويد، داروين ، ماركس ، وأمثالهم كثيرون ، وكذلك الذين ادعوا انتسابهم إلى ما أسموه «الدين اليهودي» المحرّف عن رسالة موسى عليه السلام .

وكان تذكير بني إسرائيل بفضل الله عليهم فيه إلحاح حتى لا يعودَ لهم حجّة يوم القيامة ، فيلاقي الظالمون منهم جزاءهم الشديد والعقاب الشديد . ولنتدبرّ أيضاً هذه الآيات الكريمة :

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [البقرة :٨٣]

تذكير بالتوحيد الذي أُمروا به ، والبر والإحسان مع الوالدين وذي القربى واليتامى والمساكين ، وتذكير بالكلمة الطيبة التي يجب أن يخاطبوا بها الناس ليبيِّنوا لهم حقيقة ما يجب أن يؤمنوا به ، ولكنهم ، بدلاً من أن يؤمنوا تولَّوا عن الحق ، عن الإسلام، عن رسالة موسى عليه السلام ، تولوا عن الحقّ وهم معرضون ، إلا القليل منهم الذين أسلموا وآمنوا .

إنها الفئة نفسها التي رفضت الإيمان والتوحيد والإسلام ، منذ أيام يعقوب عليه السلام ، ومع سائر الأنبياء والمرسلين ، ومع موسى عليه السلام ، ومع عيسى عليه السلام، ومضوا حتى يومنا هذا يفسدون في الأرض ، ويتولّون الذين أشركوا ، في عداء صريح لدين الله ، للإسلام !

وكانت هذه الفئة الضالة من بني إسرائيل تأخذ من الدين شيئاً وتترك شيئاً ، تؤمن بشيء وتكفر بشيء ، على صورة تكشف فتنة النفوس ، وسوء الطباع ، وضياع الإيمان الحق من القلوب . ويكشف لنا القرآن الكريم هذا الطبع المنحرف والفتنة الطاغية فيهم:

﴿ ... أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا

اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ. أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ ﴾ [البقرة : ٨٥-٨٦]

هي الفتنة الكبرى والانحراف الأشدّ أن يؤثروا الدنيا على الآخرة ، وأن يشتروا الحياة الدنيا ويدفعوا ثمنها الدار الآخرة . إنها أَشدُّ فتنة وأوسع انحرافاً ، يفتح الباب لجميع الفتن الأخرى ولجميع أبواب الانحراف ، ويبرز الخلاف بين اليهود والنصارى مع أن الرسالة الربانيّة التي أتتهم واحدة ، سواء مع موسى عليه السلام ، أو مع عيسى عليه السلام :

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [البقرة :١١٣]

إن هذه الآيات البيّنات لتكشف فساد القلوب وحقيقة الانحراف ، ذلك أَنْهم نقضوا ميثاقهم مع رسلهم ومع ربهم . فكل رسول بعثه الله كان يبلّغ رسالة ربه ويأخذ ممن بلغهم العهد والميثاق، فما برحوا حتى نقضوا العهد والميثاق ، وبدّلوا وغيّروا في دين الله . وهذا قوله سبحانه وتعالى :

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [المائدة :١٣]

نعَم ! هذا أمر الله لرسوله محمد ﷺ : « ... فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ ... » ، حيث كانت القوة في يده ، وكان يؤَمِّل أن يُفيدهم ليتوبوا من آثام ومعاصٍ وانحرافٍ وتحريف في كتاب الله . إلا أنهم لم يعودوا لرشدهم ومضوا في غيِّهم إمعاناً وضلالاً ، وخيانة وخداعاً ، حتى أُجلوا عن جزيرة العرب ليظل الإسلام النقيّ الجليّ كما جاء من عند الله هو الدين الوحيد في جزيرة العرب .

ولقد تمادى اليهود في غيّهم وكفرهم بالأنبياء وبالرسالة حتى أخذوا يقتلون أنبياءهم :

﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ [المائدة : ٧٠]

ولقد أخذ الله ميثاقاً وعهداً من جميع رسله ومن تبعهم ليكونوا أشدّ التزاماً . أخذ الميثاق من بني إسرائيل :

﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾

[المائدة :١٢]

ولكنهم لم يلتزموا الميثاق بل نقضوه وحلّت عليهم لعنة الله:

﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ ... ﴾

[المائدة :١٣]

فنقضهم للميثاق وتحريفهم لكتاب الله ونسيانهم حظّاً مما ذُكِّروا به ، جعل لعنة الله تحل بهم ، ثم امتدت خياناتهم مع العصور حتى أيام النبيّ الخاتم .

وأخذ الله العهد من الذين قالوا إنا نصارى :

﴿ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ

فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ [المائدة : ١٤]

وأخذ العهد كذلك من أصحاب محمد ﷺ الذين قالوا : سمعنا وأطعنا :

﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [المائدة : ٧]

وبصورة عامة فإن الله أخذ العهد والميثاق من آدم ومن بني آدم وهم في عالم الذرّ، وأكّد هذا الميثاق مع كل رسول ونبيٍّ ومع كل أمة (١) :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ . أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ . وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الأعراف : ١٧٢-١٧٤]

فبالرغم من هذه العهود المؤكدة والمواثيق المثبّتة ، نقض اليهود كل العهود وارتكبوا من المعاصي ما عرضنا بعضه .

ويتوالى فضل الله على بني إسرائيل ، ويتوالى كفر ذاك الفريق بفضل الله ونعمِهِ عليهم :

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ . وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ . وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴾ [البقرة : ٤٩-٥١]

---

(١) يراجع كتاب : « عهد الله والعهد مع الله » للمؤلف .

نِعَمٌ من الله ونجاة لهم ثم يكفرون بالنعم ويتخذون العجل عبادة بدلاً من عبادة الله ، انحراف بعد انحراف ، وفتنة بعد فتنة ، من أولئك الذين كفروا بأنبيائهم من بني إسرائيل . وبقيت الفئة المؤمنة ماضية برسالتها ودينها الإسلام ، دين جميع الأنبياء والمرسلين !

ويشتد الكبر والغرور في نفوس ذاك الفريق الضال حتى قالوا لنبيّهم رسول الله موسى عليه السلام ، إنهم لن يؤمنوا حتى يروا الله جهرة :

﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾ [البقرة :٥٥]

ولم يقف اليهود هذا الموقف الضال مع موسى عليه السلام وحده ، ولكنه ظل ممتدّاً حتى مع عيسى عليه السلام :

﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ [المائدة :١١٠]

أبعد كلّ هذه الآيات البيّنات والمعجزات الظاهرة ، التي أتى بها عيسى عليه السلام أمام بني إسرائيل ، أبعد هذا كله كفرت طائفة من بني إسرائيل بكل هذه الآيات والمعجزات ، وقالوا : « ... **إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ** » . ولكن الطائفة الأخرى من بني إسرائيل شرح الله صدرها إلى الإيمان والإسلام فكانوا الحواريين مع عيسى عليه السلام، فقالوا آمنا واشهد بأنا مسلمون :

﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ [المائدة :١١١]

وهكذا تتأكد الصورة في واقع بني إسرائيل : وجود طائفتين: طائفة آمنت بالله والرسل والإسلام فكانوا مسلمين ، وطائفة كفرت بذلك كله فكانوا كافرين ، وهم اليهودُ كما بيّنّا في صفحات سابقة .

ثم جاء محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين ، كما هو ثابت في التوراة والإنجيل، إلا أن التحريف والانحراف أَزال تلك النصوص، ولكن كتاب الله جاء ليذكّر ويثبّت هذه الحقيقة الهامة :

﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ [الصف :٦]

وقصة إسلام عبد الله بن سلام كما يرويها إبن هشام دليل على وجود اسم النبي ﷺ وصفاته في كتبهم قبل أن تُحرّف ويُمْحى اسمه وصفاته من التوراة تحريفاً لكتاب الله :

قال ابن اسحق : وكان من حديث عبد الله بن سلام ، وكان حبراً عالماً ، قال : لما سمعتُ برسول الله ﷺ عرفتُ صفته واسمه وزمانه الذي كنا نَتوكّف له ، فكنتُ مُسرّاً لذلك صامتاً عليه ، حتى قدم رسول الله ﷺ المدينة . فلما نزل بقباء ، في بني عمرو بن عوف، أقبل رجل حتى أخبر بقدومه ، وأنا في رأس نخلة لي أعمل فيها ، وعمتي خالدة بنت الحارث تحتي جالسة . فلما سمعتُ الخبر بقدوم رسول ﷺ كَبّرْتُ ، فقالت لي عمّتي، حين سمعت تكبيري ، خيّبكَ الله ، والله لو كنت سمعتَ بموسى بن عمران قادماً ما زدتَ ! فقلت لها أيْ عَمّة ، هو والله أخو موسى بن عمران وعلى دينه ، بُعِثَ بما بُعثَ به . فقالت : أي ! يا ابن أخي ! أهو النبيّ الذي كنّا نخبَرُ أنه يبعث مع نفس الساعة.

فقلت لها : نعم ! فقالت : فذاك إذاً . قال: ثُمَّ خرجتُ إلى رسول الله ﷺ فأسْلَمْتُ ، ثم رجعتُ إلى أهل بيتي فأمرتُهم فأسلموا وكتمتُ إسلامي من يهود . ثم جئت رسول الله ﷺ ، فقلت له : يا رسول الله ! إن يهودَ قومٌ بُهتٌ . وإني أحبُّ أن تدخلني في بعض بيوتك، وتغيّبني عنهم ، ثم تسألهم عني ، حتى يخبروك كيف أنا فيهم قبل أن يعلموا بإسلامي، فإنهم إن علموا به بهتوني وعابوني . قال : فأدخلني رسول الله ﷺ في بعض بيوته ، ودخلوا عليه ، فكلموه وسألوه . ثم قال لهم : أيُّ رجل الحصين بن سلام فيكم ؟ قالوا سيدُنا وابن سيدنا ، وحَبْرنا وعالمنا . فلما فرغوا من قولهم خرجتُ عليهم ، فقلت لهم : يا معشر يهود ! اتقوا الله واقبلوا ما جاءكم به ، فو الله إنكم لتعلمون أنه رسول الله، تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة باسمه وصفته ، فإني أشهد أنه رسول الله، وأومن به وأصدّقه وأعرفه . فقالوا : كذبتَ ! ثم وقعوا بي . قال : فقلت لرسول الله ﷺ ألم أخبرْك يا رسول الله أنهم قوم بهتٌ ، أهل غدر وكذب وفجور . قال : فأَظْهَرتُ إسلامي وإسلام أهل بيتي ، وأسلمتْ عمتي خالدة بنتُ الحارث ، فحسن إسلامها .

وحديث مُخيريق شهادة أخرى تثبت أن اسم الرسول ﷺ مكتوب عندهم في التوراة باسمه وبصفته :

قال ابن اسحق : وكان من حديث مخيريق ، وكان حبراً عالماً، وكان رجلاً غنيّاً كثير الأموال من النخل ، وكان يعرف رسول الله ﷺ بصفته ، وغلبَ عليه إلفُ دينه . فبقي على ذلك ، حتى إذا كان يوم أُحُد ، وكان يومُ أُحُد يومَ السبت ، قال : يا معشر يهود، والله إنكم لتعلمون أن نَصْرَ محمدٍ عليكم حق . قالوا : إن اليومَ يومُ السبت . قال : لا سبتَ لكم ! ثم أخذ سلاحه ، فخرج حتى أتى رسول الله ﷺ بأُحُد ، وعَهدَ إلى من وراءه من قومه : إن قُتِلْتُ هذا اليوم ، فأموالي لمحمد ﷺ ، يصنعُ فيها ما أراده الله ! فلما اقتتل الناس قاتل حتى قُتِل ، فكان رسول الله ﷺ - فيما بلغني - يقول مخيريقٌ خير يهود . وقبض رسول الله ﷺ أمواله ، فعامّة صدقات رسول الله ﷺ بالمدينة منها .

وصفية بنت حُيَيّ بن أخطب لتشهد كذلك :

قال ابن اسحق : وحدّثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمر وبن حزم ، قال حُدِّثت عن صفيّة بنت حُيَيّ بن أخطب أنها قالت : كنتُ أحبَّ ولد أبي إليه ، وإلى عمي أبي ياسر . لم ألقهما قطُّ مع ولد لهما إلا أخذاني دونه . قالت : فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة، ونزل قباء ، في بني عمرو بن عوف ، غدا عليه أبي ، حُيَيّ بن أخطب، وعمي أبو ياسر ابن أخطب ، مُغلِّسين . قالت : فلم يرجعا حتى كانا مع الغروب . قالت : فأتيا كالَّيْن كسلانين ساقطين ، يمشيان الهوينى. قالت فَهَشَشْتُ إليهما كما كنتُ أصنع ، فوا الله ما التفت إليَّ واحد منهما ، مع ما بهما من الغم . قالت : وسمعت عميّ ، أبا ياسر، وهو يقول لأبي حُيَيّ بن أخطب : أهو هو ؟! قال نعم والله ! قال : أتعرفه وتثبتُه ؟! قال : نعم! قال : فما في نفسك منه ؟! قال : عداوتُه والله ما بقيتُ !

إنه لعجب عجاب . توافر في كتاب يهود ، وفي علم علمائهم عبد الله بن سلام ، ومخيريق ، وحُيَيّ بن أخطب ، العلم الحق بأنه رسول الله المكتوب عندهم في التوراة ، فيؤمن عبد الله بن سلام ، ويؤمن أهله ويؤمن مُخيريق إيماناً راسخاً بعد أن انجلى لهما الحق، ويختم الله على قلب حُيَيّ بن أخطب فيكفر بالحقِّ المبين ، وبما عرفه هو من كتابهم باسم الرسول ﷺ وصفته !

هؤلاء هم اليهود كما وصفهم عبد الله بن سلام : « ألم أخْبِرْك يا رسول الله أنهم قومٌ بهتٌ ، أهل غدر وكذب وفجور » ! إلا من عصم الله وهداه فآمن بالله ورسوله ، وآمن بالنبي الخاتم محمد ﷺ فكان من المسلمين .

وعبد الله بن سلام سيدهم وعالمهم وحبرهم ، فهو أعلم الناس بهم وبأخلاقهم. وكيف اختفت هذه النصوص من التوراة ، والشاهدون على وجودها كثيرون ، « والله خيرٌ شاهداً ... » !

ولكنّ شهادة الله أصدق شهادة . فقد سبق أن ذكرنا بعض الآيات التي تتحدّث

عن ذكر اسم محمد ﷺ في كتبهم . ونذكر الآن الآية الكريمة الأخرى المفصّلة لذلك والمثبتة له :

﴿ وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ . الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف : ١٥٦-١٥٧]

آيات بينات معجزات ، تكشف الحق وتوقظ القلوب . إعجاز لا يأتي إلا من عند الله ، ليؤمن من يعيه ويتدبّره .

الفصل الثاني
اليهود
من الماضي والحاضر

لقد قدّمنا في الصفحات السابقة صورة عن « اليهود » كما نفهمها من كتاب الله ، القرآن الكريم . إن الهدف من ذلك أن نحاول إدراك موقف اليهود اليوم في العالم الإسلامي ، من الإسلام ، ومن قضية فلسطين .

لقد استطاع اليهود اليوم أن يقنعوا قطاعاً واسعاً من العالم الغربي مثل أمريكا وإنكلترا وفرنسا وألمانيا وغيرهم بأن الله أعطى فلسطين - الأرض المقدّسة - لليهود ، أو لبني إسرائيل . هل اقتنع الغرب حقّاً بذلك أم أنها قناعة ظاهرة لمصالح سياسية كبرى؟!

وهذه فرية على الله سبحانه وتعالى ، وكذب كبير . فإن الله سبحانه وتعالى لا ينظر إلى عباده على أساس من الجنس أو الدم ، ولكن على أساس التقوى والإيمان والخضوع لشرع الله . فالله سبحانه وتعالى عنده دين واحد هو الإسلام ، وأمة واحدة هم المؤمنون الذين التزموا حق الالتزام بدينه الحق كما جاءت به الرسل والأنبياء .

فدعوى اليهود بالنسبة لفلسطين دعوى باطلة ، منبعها التحريف الذي مارسوه في التوراة كما بيّنا في صفحات سابقة ، وزاد عليها في العصر الحديث المصالح السياسية ، وقدرة اليهود على استغلالها من خلال الكذب والافتراء ، يضاف إلى ذلك ضعف شديد في المسلمين ، وهوان في جميع أَقطارهم ، وتفرُّقهم حتى لم يعودوا أمة واحدة كما أمرهم الله أن يكونوا .

من الواضح في التاريخ أن النصرانية وقفت موقفاً معادياً للإسلام ، موقفاً تدفعه الأطماع الاستعمارية والمصالح العدوانيّة. ومن الواضح كذلك أن اليهود يقفون نفس

الموقف من العداء ، فالتقت مصلحة هؤلاء وهؤلاء ليتخذوا موقفاً واحداً من معاداة الإسلام والمسلمين .

لقد اكتسب العالم الغربيّ من خبرته الطويلة مع الإسلام والمسلمين ، أن الإسلام الحق الذي جاء به النبيّ الخاتم محمد ﷺ، لا يمكن أن يتنازل عن الحق ولا أن يدخل في باطل ، وجد الغرب أنه يمكن من خلال المساومات وتبادل المصالح أن يصل إلى بعض التنازلات مع أهل هذه العقيدة أو تلك ، إلا مع الإسلام الحق فقد تبيَّن له بصورة يقينيّة أنه لا يتنازل عن حق ولا يقبل بباطل ، وأن الميزان عنده هو الكتاب والسنة كما جاءا باللغة العربية ، من عند الله على رسوله النبيّ الأمّي الخاتم محمد ﷺ . لا مجال للتنازلات ولا للمساومات الباطلة ، وأمام الغرب أطماع هائجة في ثروات العالم الإسلامي أو ثروات الأرض كلها . فأصبح الإسلام يقف عقبة أمام هؤلاء المستعمرين الغازين المعتدين ، عقبة تحول بينهم وبين أطماعهم. فأصبح الحل أمامهم لتأمين عدوانهم وظلمهم أن يزيحوا الإسلام من طريقهم أو أن يفتنوا المسلمين عن حقيقة دينهم الإسلام.

ويبدو أن هذه القضية شغلت فكر العالم الغربي بجميع دوله لمدة طويلة ، أخذوا خلالها يقومون بدراسات ووضع خطط لتحقيق مآربهم . ومن مظاهر هذا التخطيط الكتاب الذي وضعه الوزير الروماني « ت . ج . دجوفارا » بالفرنسية بعنوان : « مئة مشروع لتقسيم تركيا » ! وظهرت الطبعة الأولى منه في باريس سنة ١٩١٤م ، وقدم للكتاب الأستاذ « لويس رينو » من كلية الحقوق وكلية العلوم السياسية . والكتاب يمثل دراسة وثائقية لِحقْبَةٍ طويلة من الصراع بين الإسلام وأوروبا . وهو بالنسبة لنا يمثّل صورة من الجهد العنيف المبذول للتخطيط لضرب العالم الإسلامي الذي كان يمثل أمة واحدة ودولة وخلافة إسلامية واحدة .

لقد كان الهدف الأول في تخطيط العالم الغربي لإزاحة الإسلام من طريقه هو

إسقاط الخلافة الإسلامية ، ومن أجل ذلك وُضِعت مشروعات سماها الكاتب في الكتاب الذي ذكرناه أعلاه : «مئة مشروع لتقسيم تركيا » .

ولقد نجحوا في ذلك نجاحاً باهراً في تخطيط تفصيلي دقيق ، استخدموا فيه كل الوسائل الممكنة لفتنة المسلمين في ديارهم ، ونشر الأفكار المعادية للإسلام ، ونشر الفواحش والانحلال تحت اسم «الحضارة » ، وأفكار القوميات المتصارعة ، والعلمانية والديمقراطية، والحداثة ، والبنيوية ، والتفكيكية ، وفلسفات أخرى .

يضاف إلى ذلك الجهل الواسع بالإسلام بين المسلمين مما سهّل انتشار تلك الأفكار حتى انحلّ المجتمع الإسلامي ، وتفككت رابطة أخوة الإيمان . وكان العنصر اليهودي من أنشط العناصر في بثّ هذه السموم في المجتمع الإسلامي . كل ذلك كان بتخطيط ومكر .

وسقطت الخلافة الإسلامية ! وجاءت الخطوة التالية وهي تمزيق العالم الإسلامي إلى أقطار وحدود . والمؤلم أنه نتيجة للجهود السابقة في نشر القوميات والفواحش والانحلال ، استجابت بعض الشعوب الإسلامية لهذا التمزيق ، وظهرت الأناشيد والقصائد في تمجيد هذا التمزّق .

ونعيد ونؤكد أنه كان لليهود دور بالغ في جميع مراحل هذا التخطيط . ولعل من أبرز هذه الأدوار ما قام به اليهود من خلال ما ابتدعوه وسمّوه : «الماسونية « !

لقد بذلَتْ « الماسونية » جهوداً كبيرة جداً في جميع أنحاء العالم الإسلامي تحت شعارات الإنسانية وأمثالها ، وحققّت نجاحات حقيقية . يضاف إلى ذلك جهود اليهود المباشرة .

من خلال هذه الأحداث التقت جهود العالم الغربي ودُوَلِهِ مع جهود اليهود على محاربة الإسلام ، كلٌّ يُريد هذه الحرب لِغاية في نفسه ولمصلحة خاصة به ولكنها تصبح مع الأيام مصلحة واحدة مشتركة بين الطرفين .

الغرب يريد أن يزيح الإسلام والمسلمين الصادقين من طريقه حتى يخلو له الجو في نهب ثروات العالم ، واليهود يريدون محاربة الإسلام وهم يحملون حقداً شديداً لتاريخ طويل . ولا ننسى قوله سبحانه وتعالى :

﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ...﴾

[المائدة :٨٢]

إنه لحقٌّ مُنْزَلٌ من عند الله ! إنه لحقٌّ ماضٍ مع الأيام ، يكشف لنا حقيقة دور اليهود في كل عصر ، وحقيقة دور المشركين كذلك في كل عصر ، والتقاء دور هؤلاء وهؤلاء في حربهم المتعددة ضد الإسلام .

فلا عجب أن يشترك الطرفان في وضع الخطط لهذه الحرب المشتركة ، ولا عجب أن يستغلَّ اليهود هذه الظروف ليدّعوا أن فلسطين لهم ، وأن الله وهبها لهم بما يفترونه من نصوص محرّفة من التوراة ، ثم ينتقل اليهود لينشروا هذا الافتراء والوهم بإعلام هادف، وجهود سرّية وعلنيّة ، تشمل مساحات واسعة من الكرة الأرضيّة ، ومن الشعوب والدول ، حتى تكوّنت قناعة لدى الكثيرين أن هذا الادِّعاء من اليهود حق ، وحتى أخذوا ينالون دعماً من هنا وهناك لافترائهم الكبير ، خاصة وأن هذا الافتراء من اليهود يصبح دعماً للغرب النصراني العلماني في محاربته للإسلام .

ولا عجب بعد ذلك أن يتعهّد هذا الغرب العلمانّي النصرانيّ الذي دخل في تعاون واسع جاد مع اليهود ، في المساهمة الجادة بإقامة كيان لليهود في قلب العالم الإسلامي ، في فلسطين تحت ادعاء اليهود الكاذب أن الله وعدهم بهذه الأرض ، مما سبق أن بيّنا كذبهم وافتراءهم على الله بما يدّعونه .

أولئك يرون في إقامة هذا الكيان اليهودي قاعدة لهم في حربهم ضد الإسلام، واليهود يرون فيه تحقيق افترائهم التاريخي الممتد، ولم يتورّع الطرفان عن القيام بأكبر

جريمة في التاريخ البشري، بطرد أهل فلسطين المسلمين من أرضهم ومنازلهم ومصالحهم، وإلقائهم لاجئين مشرّدين في أنحاء شتَّى من الأرض ، وإقامة دولة لليهود في فلسطين تحت رعاية أمريكا وأوروبا وهيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن ، ومن خلال تهاون كبير من العرب ومن المسلمين .

وظهر «وعد بلفور» وظهرت معاهدة «سايكس بيكو»، وتوالت الجهود من جميع هؤلاء على تنسيق كبير وتخطيط دقيق : لتقسيم العالم الإسلامي وتمزيقه وإقامة كيان لليهود في قلب العالم الإسلامي .

وقامت « دولة إسرائيل » !

وقامت « دولة إسرائيل » في رعاية هذه القوى كلها بعد أن داست تحت أقدامها جميع شعارات العدالة والإنسانية وحقوق الإنسان ، وما يسمونه « الديمقراطية » كذباً وبهتاناً وشعاراً لا مضمون له من الحق والعدل .

وقررت هيئة الأمم المتحدة منح إسرائيل أكثر من ٥٠٪ من أرض فلسطين . وبعد الانتفاضة الأولى والثانية ملكت إسرائيل أكثر من ٩٠٪ من أرض فلسطين .

وقامت دولة إسرائيل ! والعالم الإسلامي في شبه غيبوبة ، ممزّق إرباً ، وقد قام ببعض الحروب والمقاومات دون نهج ولا خطة . هؤلاء اليهود الذين سبق وصفهم على لسان رجال منهم مثل عبد الله بن سلام ، ومن خلال آيات القرآن الكريم ، إلا أنهم ما زالوا من خلال باطلهم نشيطين ، يملكون القدرة على التخطيط والتنفيذ واستغلال الظروف المختلفة ، وتثبيت تعاونهم مع كبار المجرمين في الأرض .

في هذه اللحظات الحالية لابد من المقارنة بين جبهتين : جبهة اليهود وأنصارهم، وجبهة المسلمين :

جبهة اليهود وأنصارهم :

* جبهة شبه متراصّة ، متّحدة ، كلها تسعى إلى هدف واحد : بناء إسرائيل وحمايتها !
* جبهة تملك النهج والخطة للسعي لتحقيق هدفها ، ولا تسير ارتجالاً !
* جبهة تملك القوة العسكرية والتقدم العلمي والصناعة والطاقات البشرية ذات المكانة الدولية .
* تمثل جبهة عالمية تسندها معظم قوى العالم ودوله وتدعمها دعماً حقيقياً .
* يجهرون بما يفترونه من حق لهم في فلسطين ، ويجهرون بما يسمونه دينهم اليهودي !

جبهة المسلمين :

* جبهة ممزّقة أقطاراً وحدوداً ، ومصالح وأهواء ، وجماعات وأحزاباً .
* جبهة مخترقة من العلمانيين وغيرهم يزيدون فرقة المسلمين .
* جبهة يغلب فيها الجهل ، وخاصة بالإسلام ، وباللغة العربية.
* لا تجد لهم نهجاً محدداً ولا خطة مدروسة وخاصة أمام قضية فلسطين .
* جبهة تغلب فيها الشعارات ، ويغيب فيها النهج والدراسات الهادفة والتخطيط، تعددت فيها الهويات المعلنة : العروبة ، العلمانية ، الديمقراطية، الحداثة ، وأخذ يبهت أو يضعف صوت الإسلام وهويته .

من أجل ذلك نقول :

إذا التقى فريقان : فريق له هدفه المحدّد ، ونهجه وخطته المدروسة لتحقيق هدفه، ونشاطه وإعداده لقواه ، وفريق لا نهج له ولا خطة إلا

دوي شعارات ، فإن الفريق الأول يستطيع أن يحول جهود الفريق الثاني لصالحه هو ، ويعود الفريق الثاني بالهزيمة والخسارة.

المعركة مع اليهود قديمة وممتدة وحديثة . في الجولات الحديثة انتصر اليهود وأنصارهم ، فأخذ اليهود فلسطين وأقاموا دولتهم . فماذا قدّم المسلمون في هذه الجولات؟! وماذا أَعدّوا ؟!

قدّموا ضعفهم وضعف إمكاناتهم وقلة استعدادهم ، وقدّموا دويّاً من الشعارات ودوياً من المظاهرات ، ودويّاً من المؤتمرات ، والاحتجاجات ، والاستغاثة حيناً بالمجتمع الدولي الذي يحاربنا ، وحيناً بأمريكا التي تحاربنا :

حَتّى إذا حَمِي الوَطيسُ وجَدّ ... كُلّ الجد لا تلقى مظنّةَ مَهْزَلِ
صَرَخُوا ونَادَوْا يا شُعُوبُ تكلّمي ... يا مَجلسَ الأَمْنِ العَزيز فأقْبِلِ
يا دَارَ أَوْروبّا حَنانَكِ ! أَشْفقي ... يا دارَ أمْريكا أطلّي واعْجَلي
يا رُوسِيا ! هلاّ نظرتُمْ حالَنا ... شعباً يُذَبَّحُ بالمَدَى والمِقْصَلِ
قلْنا كما شِئْتُم : نُرِيْدُ سَلامَةً ... ومُفَاوَضاتٍ في أَمَانٍ أَعْدَلِ
قُلتُمْ لنا ناموا ! فنمنا ! قُلْتُمُ ... قوموا فقمنا ! طاعةَ المتذلِّلِ
سِرْنا كما شِئتمْ ! وقَصَفنا السلا ... حَ فهل نرى بعض الوفاء الأعدلِ

* * *

اليومَ نَجْني مِنْ حَصَادِ جَريمةٍ ... لمَّا رَكَنَّا للعَدوِّ الأخيَلِ
والله قَال رُوَيْدَكُمْ لا تَرْكَنوا ... للظّالمينَ ولا لباغٍ أجْهَلِ
هذا الصِّراطُ المُستَقيمُ أمامَكُمْ ... لا يستوي وسَبيلُ قومٍ مُيَّلِ
يتنَزَّلُ النصر العزيز على الذيـ ... ـن مَضَوا على هذا الصراط الأكملِ
لَجَؤوا إلى الله العَزيز وأسْلَمُوا ... لله أمرَهُمْ على نَهْجٍ جَلي
أوفَوا بَعهْدِ الله حقَّ أمانةٍ ... وعبادةٍ وخِلافةٍ لم تُجْهَلِ

وعمـارةٍ لـلأرضِ بـالإيمـان والـ	ـتَّوحيد عـزمَ الصادق المتَرسِّلِ
صَـفّـاً يُـرَصُّ ! ولا يُـفَـرِّقُ أُمَّةً	تْمضِـي عَلـى صِـدْقِ الـوَلاءِ الأَوَّلِ
صَفّاً يُـرَصُّ ! ولا يُمَـزِّقُ عَزْمَه	شُعَـبُ الـوَلاءِ ولا شَتـاتُ العُذَّلِ
صَـفّـاً يُـرَصّ عَلـى وَلاءٍ واحِدٍ	لله فُـصِّـل فـي الكـتـابِ المُنْزَلِ
عَـهْـداً ومِيثـاقاً أَبَـرَّ مع التُّقى	يَمْضي على عـزم الوفـاء الأجْمل
إن لم تَقُمْ في الأرضِ أُمَّةَ أحمدٍ	خَـابَ الرَّجـاءُ وضَـاعَ كُـلُّ مُؤَمَّلِ (١)

*** ***

ما بال المسلمين يتناسون أمر الله ، ويرضون بمعصية التمزق والتفرّق ؟! إنه أَمْر الله لعباده المؤمنين أن يكونوا أمة واحدة وصفّاً واحداً ! عجباً كيف ينسون أمر الله سبحانه وتعالى ، تؤكده الآيات الكريمة التالية :

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ... ﴾

[آل عمران :١٠٣]

وكذلك :

﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ...﴾

[آل عمران :١٠٤]

وكذلك :

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

[آل عمران :١٠٥]

وآيات أخرى كثيرة !

(١) «ملحمة الإسلام من فلسطين إلى لقاء المؤمنين» للمؤلف – ص : (١٨١– ١٨٢) .

ألا يقرأ المسلمون هذه الآيات الكريمة ، الآيات المحكمة الجليّة البيّنة ، ألا يتدبّرونها ؟! ألا يعلمون أنهم محاسَبون على ذلك يوم القيامة ؟! فلماذا يتفرّقون شيعاً وأحزاباً مما نهاهم الله عنه :

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ . مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ . مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ [الروم : ٣٠-٣٢]

حَتى كان التفرّق شيعاً وأحزاباً يمثل صورة من صور الشرك ! وكذلك قوله سبحانه وتعالى .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام :١٥٩]

وكذلك قوله سبحانه وتعالى :

﴿ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ . فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ . فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ ﴾

[المؤمنون :٥٢-٥٤]

وإن هذه التفرّق ، شيعاً وأحزاباً ، هو ابتلاء من الله وعقاب وعذاب شديد ، كما في قوله سبحانه وتعالى :

﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام :٦٥]

إن أمر الله جليٌّ بيّن لا لبس فيه ولا غموض، وهو تحريم التمزّق والشقاق بين المؤمنين، لأن ذلك يضعف شوكتهم وعزّتهم، ويُذِلّ الأحزاب كلها، ويوقع بينها الفتن والصراع الظاهر والخفيّ، ويضعف الجميع عن أن يقوموا بالأمانة التي وضعها الله في أعناقهم، والعهد الذي أخذه منهم، والميثاق الذي ارتبطوا به، وخلاصة ذلك كله من عهد وميثاق هو أن تكون كلمة الله هي العليا، وهذا أمر لا يتحقق إلا بأمة واحدة وصف واحد على دين واحد هو الإسلام، ودعوة واحدة إليه.

لقد استطاع أعداء الله والمجرمون في الأرض أن يزرعوا الفتن بين المسلمين، ويغذّوا التفرقة والتمزق، حتى ذاق المسلمون الذلة والهوان، فخسروا الأندلس وأضاعوا حكم الله ودينه فيها بما كسبت أيديهم من تمزّق وخصام، وطلب للدنيا بدلاً من الآخرة، فطردوا منها شر طردة. ولم يأخذوا من ذلك عبرة ودروساً لِيَعودوا إلى الله عودة صدق، بل امتد الشقاق والتمزّق إلى بقاع كثيرة، حتى ضاعت فلسطين، وأصبح المسجد الأقصى على وشك أن يهدمه اليهود، والمسلمون لاهون ممزّقون يذيقُ بعضهم بأس بعض.

وفي الوقت نفسه تغيّر واقع اليهود. فقد كانوا هم ممزّقين في أقطار شتى، ينالون في كل قطر ذلة وهواناً واضطهاداً وعذاباً. فقد ذاقوا في الأندلس من النصارى عذاباً شديداً، وكذلك في ألمانيا في العهد النازي بخاصة، وفي سائر بلدان أوروبا. ثم انقلب الحال فيهم على قدر من الله، فأصبحوا أقرب ما يكون إلى الصف الواحد، يلتقون على باطل وافتراء، ثم استطاعوا أن يغيروا واقعهم، فيتعاونوا مع دول الغرب العلمانية النصرانية تعاوناً وثيقاً كما بيّنا في صفحات سابقة. إنهم لم يتعاونوا على حق أبداً، وإنما على باطل وعلى مصالح مادية دنيوية. واستطاع اليهود أن يحققوا هذا التعاون مع الغرب العلماني النصراني من خلال مؤسسات كثيرة أقاموها وحركات نظموها كالصهيونية التي انطلقت في عدوان بعد عدوان وباطل بعد باطل. وكذلك الماسونيّة الحركة الخفية السرّية

التي تحمل شعارات مغرية خادعة وتخفي في داخلها التآمر والفتن والعداء على الإسلام بخاصة والمسلمين . ولقد علا اليهود اليوم في الأرض ، وأيدتهم دول كبرى وصغرى كثيرة . فهل هذا صورة من الصور التي توحي بها الآيات الكريمة من سورة الإسراء :

﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا . فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا . ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا . إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا . عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴾ [الإسراء :٤ـ٨]

وإن كنا نعتقد أن هاتين المرّتين لم يحددهما الكتاب والسنّة تحديداً جليّاً ، فتبقى حقيقتهما أقرب لعلم الغيب عند الله منها إلى علم يقين في الدينا . وفي كتب التفسير أراء ووجهات نظر لا تتأكد بحديث صحيح ولا أية بيّنة . ومع ذلك فإنا نرى ظلالاً لهذه الآيات من واقع اليهود اليوم ، وما علوا فيه في الأرض وأفسدوا فيها إفساداً.

الفصل الثالث
يُحرّفون
الكلم عن مواضعه

لقد كان تحريف كتاب الله الذي أنزله الله على موسى عليه السلام ، والكتاب الذي أنزله على عيسى عليه السلام ، جريمة كبيرة، وفتنة عظيمة ، وكما سبق أن ذكرنا أن بني إسرائيل منهم من آمن وأسلم واتبع الرسل ، ومنهم من كفر ولم يؤمن . من آمن وأسلم فأولئك كانوا من المسلمين . وأما من كفر فأولئك هم اليهود الذين ارتكبوا كثيراً من المعاصي ، وأخطرها تحريف كتاب الله . لم يكن التحريف سهواً وإنما كان عَمْداً ، يتبعون به أهواءهم ومصالحهم دون خشية من الله .

إن هذا التحريف كذب وافتراء على الله :

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾

[الأنعام :٢١]

نعم ! إنه افتراء وكذب صريح بعد أن أنزل الله سبحانه وتعالى على عبده ورسوله موسى عليه السلام كتابه التوراة مفصّلاً :

﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام :١٥٤]

وكذلك :

(وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)

[البقرة :٥٣]

وكذلك :

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة :٨٧]

وكذلك :

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المائدة :٤٤]

وكذلك :

﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة :٤٦]

هـذا الذي أنزله الله على موسى وعلى عيسى : كتاب مفصَّل فيه هدى ونور ، « ... يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا ... »! وآيات أخرى كثيرة تؤكِّد هذه المعاني ، تؤكد أن النبيين جميعاً مسلمون ورسالتهم الإسلام ، ودينهم الإسلام !

فما أنزله الله على رسله نور وهدى وموعظة . وهو كله يمثِّل ديناً واحداً هو الإسلام ، دين الله الواحد ! كيف وقع الاختلاف، وأصبح الدين الواحد أدياناً متعددة ؟! وكيف حُذفت نصوص محكمة من التوراة والإنجيل واختفت ، إنه التحريف والتبديل الذي تعرّضت له التوراة وتعرّض له الإنجيل . وهذه الآيات الكريمة في القرآن الكريم ،

الكتاب الخاتم الذي تعهّد الله بحفظه لا يمسه تحريف أبداً :

﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة :٧٥]

لقد كان الرسول ﷺ وأصحابه يطمعون أن يؤمن اليهود برسالة محمد ﷺ ، فهم دعاة حقٍّ يبلّغون الناس كافّة رسالة الله كما أنزلت على محمد ﷺ ، يبلّغونهم وهم يرغبون بإيمانهم . ولكن أنّى ذلك ، وقد تعمّدوا تحريفَ كلام الله بعد أن وعوه وعقلوه وعلموا أنه كلام الله الحق . إنه الموقف نفسه الذي وقفه حُيَيّ بنُ أخطب حين سأله أخوه عن محمد ﷺ بعد أن زاراه ورأياه ، وقال أبو ياسر بن أخطب لأخيه : أهو هو ؟! أي هو نفسه المكتوب في التوراة ؟! قال حييّ : نعم هو هو ، قال أبو ياسر : أعرفته وتثبّته ؟! قال: نعم! قال : فما موقفك منه : قال : عداوة ما حييت !

إذن ، بعد أن عرفوا الحق المثبت عندهم في التوراة أعلنوا كراهيته وحربه ! حقد وانحراف وفتنة وظلم وجور !

ولم يكتفوا بإعلان هذا الحقد والعداء ، ولكنهم مارسوه سرّاً وعلانية ! وبدأت مؤامراتهم كما تفصّلها كتب السيرة والتاريخ ، وبدأ التصميم على تحريف كتاب الله وكلامه الذي يحمل صدق رسالة النبي الخاتم ﷺ ، التصميم على تحريف كلام الله المثبت عندهم في التوراة والإنجيل ، وقد فعلوه ومضوا في غيّهم وضلالهم وكفرهم بآيات الله ! إنه إصرار وعناد وكفر صريح .

وكذلك :

﴿ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا

سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء :٤٦]

نعم ! يحرّفون الكلم عن موضعه بتأويل باطل فاسد ، أو بالحذف من موضعه.

ويعلنون كفرهم صريحاً : «**وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا**»، يعلنون عصيانهم دون مواربة. «**وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ**» دعاء عليه ، غير مسمع أي لا سمعت ! وكذلك : «**وَرَاعِنَا**» يقصدون سبّه وتنقيصه ، فراعنا من الرعونة ، وتستمر الدعوة إليهم إلى الحق، إلى دين الله الإسلام ، ولكنَّهم أَصرُّوا على كفرهم : «**فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا**» ! أي لا يؤمنون الإيمان الحق الكامل !

وكذلك

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [المائدة :١٣]

وقد سبق حديثنا عن هذه الآية الكريمة التي تؤكد تحريفهم لكلام الله ، وتركهم بعض ما أُنزِل إليهم ، واستمرارهم بالخيانة التي لا ينقطعون عنها ، ومع ذلك كله تستمرُّ دعوتهم إلى دين الله الإسلام والعفو عنهم عسى أن يؤمنوا ، حتى تسقط كل حجّة يمكن أن يدّعوها ليسوّغوا بها كفرهم وضلالهم .

ولنتدبّر هذه الآية الكريمة التي تؤكد أن « اليهود » سمّاعون للكذب ويأخذون به، يتولّون قوماً آخرين غير المؤمنين ، يتولون الذين أشركوا ، يحرّفون الكلم ، كلام الله من بعد مواضعه ... ! وربَطَتْهم الآية الكريمة مع الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ... :

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ

لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ. سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ . وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ. إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المائدة : ٤١-٤٤]

هذه هي أوصاف اليهود كما يخبرنا بها الله سبحانه وتعالى: «سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ، سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ ، ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ... » .

ولقد أنزل الله التوراة على موسى عليه السلام حقّاً لا اختلاف فيه ليكون هدى لبني إسرائيل جميعهم .

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ [السجدة :٢٣]

إنه حق من عند الله ، فلا تكن يا محمد ﷺ في شك من أنه من عند الله ، فلقد آتيناه رسولنا موسى عليه السلام ليكون هدى لنبي إسرائيل ، وهكذا كان كلّ نبيٍّ يبعث إلى قومه خاصةً ، حتى بُعِث محمد ﷺ للعالمين :

فعن جابر رضي الله عنه عن الرسول ﷺ قال : « أعْطيت خمساً لم يُعطهنَّ أحد من الأنبياء قبلي : نصرتُ بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصلِّ ، وأحلّت لي الغنائم ولم تحلَّ إلى نبيٍّ قبلي، وأعطيتُ الشفاعة ، وكان النبيُّ يبعث إلى قومه خاصة ، وبعثْتُ إلى الناس عامة »

[الشيخان والنسائي][1]

وعن واثلة رضي الله عنه عن الرسول ﷺ قال : « **أعطيتُ مكان التوراة السبع الطوال ، وأعطيت مكان الزبور المئين ، وأعطيت مكان الإنجيل المثاني، وفُضِّلتُ بالمفصّل** » [الطبراني في الكبير ، شعب الإيمان للبيهقي][2]

فُبعثِ موسى عليه السلام إلى قومه خاصة ، وكذلك عيسى عليه السلام ، وبعث محمد ﷺ للعالمين :

(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ) [الأنبياء :١٠٧]

وكذلك :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

[سبأ : ٢٨]

ولقد اختلف بنو إسرائيل في كتابهم بعد أن وقع فيه أنواع من التحريف ، وبعد أن

(١) صحيح الجامع الصغير وزيادته (١٠٥٦) .
(٢) المصدر السابق : (١٠٥٩) .

وقع بينهم الشقاق ، فمنهم من آمن وأسلم واستقام ومنهم من كفر وضلّ . فجاء القرآن الكريم ، الكتاب الخاتم والرسالة الخاتمة ليبيّن لنبي إسرائيل أكثر ما كانوا فيه يختلفون :

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾

[النمل :٧٦]

وما كان سبب اختلافهم إلا البغي والظلم :

﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾

[البقرة :٢١٣]

وكذلك :

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾

[آل عمران :١٩]

إن الاختلاف في كتاب الله اختلافاً يفرّق الناس ويذهب بروح الهداية فيه لمظهر من مظاهر البغي والفتنة وسيطرة الهوى .

وهذا الذي وقع فيه بنو إسرائيل ، كما يبيّن لنا الله سبحانه وتعالى ذلك في آيات كثيرة من كتابه الكريم ، كان باعثه البغي والضلال . وكذلك كان البغي سبب الاختلاف المحرّم ، وقد جعل الله سبحانه وتعالى دينه واحداً هو الإسلام ، ليتأكد مع كل رسول ونبي :

﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴾

[الشورى :١٣]

تأكيد بعد تأكيد للحقيقة الربّانية الرئيسة هي أن الدين من عند الله واحد ، هو الدين الذي بُعِثَ به جميعُ الأنبياء المرسلين : نوح وإبراهيم وموسى وعيسى .

ثم الآية الكريمة الأمر الحاسم من عند الله :

(... أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ...)

[الشورى :١٣]



الباب الثالث

الفصـــل الأول : بين اليهود والنصارى .

الفصل الثاني : اليهود والنصارى وواقع المسلمين اليوم.

الفصل الأول
بين
اليهود والنصارى

لقد سبق أن بيّنّا في الفصول السابقة أن الدين عند الله دين واحد هو الإسلام ، بعث الله به جميع الرسل والأنبياء ديناً واحداً لا خلاف فيه ، برسالات متعددة ختمها الله بالرسالة الخاتمة ، رسالة النبيّ الخاتم محمد ﷺ ، وأنزل عليه كتابه القرآن الكريم مصدّقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه .

ولكن حدث تحريف وتبديل في الرسالات حتى أصبح ما لدينا منها اليوم لا يمثّل حقيقة رسالة النبي والرسول ، ولا حقيقة دينه الإسلام ، وأخذت كل جماعة تدَّعي لها ديناً خاصاً غير دين الإسلام الذي جاء به نبيّهم ورسولهم . إلا كتاب الله القرآن الكريم الذي تعهّد الله بحفظه ، والذي سُجّل في حياة الرسول ﷺ ، وتعهّده الصحابة رضي الله عنهم .

ولو نظرنا في واقع كل ديانة يدّعونها اليوم ، لوجدنا أن كثيراً من الأنشطة والعبادات لم تكن أيام الرسول الذي بعثه الله لهم . فلا الفكر هو الفكر ولا الممارسة هي الممارسة . إلا الإسلام فالقرآن هو القرآن والشعائر هي الشعائر ، والسنة هي السنة ، والدين الإسلامي مازال غضاً نضراً كما أُنزل ، وإن تغيّر الناس ، ليظلّ هذا الدين برسالته الخاتمة حجة على الناس .

ونؤمن أن الله برحمته وفضله بعث في كل أمّة رسولاً يبلغهم رسالة التوحيد ودين الإسلام :

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا

كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ . إِنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾ [النحل : ٣٦-٣٧]

وكذلك :

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾

[فاطر :٢٤]

إن الله حقٌّ ، يقضي بالحق ، عادل لا يظلم أحداً ولا يظلم شيئاً، فواضح أن الله بعث في كل أمة رسولاً بدين واحد حق ، حتى لا يكون لأي أحد من الناس أو الأمم حجّة في ضلالة بعد أن بعث الرسل بدينه الحق .

ونذكِّر هنا بما سبق أن ذكرناه من نعم الله وفضله على عباده ، بأَن جعل الإيمان في فطرة كل إنسان ، ولا يضطرب الإيمان ولا يختل ولا يذهب من الفطرة إلا بما كسبت أيدي الناس من معاصٍ وظلم وآثام . وكذلك جعل الله آياته البينات مبثوثة في الكون، في السماء والأرض وفي أنفسنا ، تراها الفطرة السليمة بما وهب الله الإنسان من عقل وبصر وسمع ، وفطرة سليمة ، وآيات بينات في السموات والأرض وفي أنفسنا ، ورُسُلٍ مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجّة بعد الرسل . ولنتدبر قوله سبحانه وتعالى :

﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ . وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ . وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ . فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ ﴾

[الذاريات :٢٠-٢٣]

وكذلك :

﴿ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء :١٦٥]

فلا حجّة بعد ذلك كله لأي إنسان بالكفر والضلالة ، وكان الله عادلاً رحيماً وفّر لعباده كل وسائل الإيمان والتوحيد . ولكن يبقى هناك علم الله الحق الذي لا ندركه . فالله يهدي من يشاء ويضل من يشاء :

﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴾ [الرعد :٢٧]

فالأمر كله بيد الله على قضاء نافذ وقدر غالب وحكمة بالغة، وعدل وحق ماضيين في الكون كله :

﴿ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [غافر :٢٠]

وكذلك :

﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النحل :٩٣]

إن مشيئة الله هي الحق المطلق والعدل الأتم والحكمة البالغة، ومن مشيئته أن يحاسب الناس على أعمالهم يوم القيامة : « ... **وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ** » .

وكذلك :

﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ [الأنبياء :٤٧]

نسوق هذه المقدّمة لنتذكر كلنا ، ولنتذكر كل طائفة الحقائق الأساسية التي يقوم عليها فهم الإيمان والدين والتصور ، كما يحدّده الله سبحانه وتعالى ، ولندرك أن الدين واحدٌ عند الله ، ولكن الناس هم أنفسهم بدّلوا وغيروا ، كما فصلنا ذلك في فصول سابقة

ركّزنا فيها على اليهود ، ولنعرف خصائص اليهود وطبائعهم وما حرّفوه في كتاب الله ـ التوراة ، وما وقفوه من موقف معادٍ للإسلام كما جاء به محمد ﷺ :

﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الصف :٦]

ونعيد هنا ما سبق أن ذكرناه من أن رسالة عيسى عليه السلام لبني إسرائيل كانت الإسلام ، ولكن بني إسرائيل انقسموا عليها فريقين : فريق آمن وأسلم فكانوا مسلمين ، وفريق كفر وكانوا هم اليهود :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴾

[الصف :١٤]

وكذلك :

﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ . رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [آل عمران :٥٢-٥٣]

إذن وضح أن الذين آمنوا بعيسى عليه السلام كانوا مسلمين، وسبق أن بيّنا أن الذين آمنوا بموسى عليه السلام كانوا مسلمين أيضاً ، وأن رسالة عيسى عليه السلام كانت الإسلام ، وكذلك رسالة موسى عليه السلام ، ورسالة جميع الأنبياء والمرسلين كانت الإسلام أيضاً .

فهذا هو الذي يقبله الإيمان والتوحيد ، والذي يقبله العقل ويرضاه . فهل يُعقل أن يرسلُ الله لعباده أدياناً مختلفة يتصارعون عليها ، ثم يحاسبهم ؟! وعلى أيّ دين يحاسبهم يوم القيامة ؟!

هذه الحقيقة خطيرة جداً ، فعليها يقوم فهم أَسباب اختلاف ما يُسمّونه بالديانات اليوم ، وأسباب انحراف بعضها عن الدين الواحد . هذه الحقيقة يبدو أنها غائبة عن أذهان الكثيرين ، حتى من بعض المسلمين أنفسهم . فمنهم من مازال يردد القول : الديانات التوحيدية السماوية الثلاث ، قول متناقض لا يُعقل أبداً ، فالدين من عند الله دين واحد هو الإسلام ، وواجبنا نحن المسلمين أن نُعْلن هذه الحقيقة ونُبيّنها للناس .

ومع ذلك ، فإن الإسلام شرع أنه يمكن لأهل الكتاب من يهود ونصارى أن يظلّوا في أرض الإسلام وتحت حكم الإسلام ، يمارسون دينهم بكامل حرّيتهم ويتحملون مسؤوليتهم بين يدي الله ، دون أن يمنع ذلك الدعوة الإسلامية من أن تمضي في الأرض لدعوة الناس كافة إلى دين الله الواحد ، ودعوة أهل الكتاب إلى الدين الحق.

وإذا كنا تَحدَّثنا عن اليهود في الفصُول السابقة ، فستتحدث هنا عن النصارى ومواقفهم من الإسلام وموقف الإسلام منهم .

أما موقف الإسلام منهم ، فهو واضح جليّ بأنهم يمكن أن يعيشوا في أرض الإسلام وتحت حكم الإسلام ، يمارسون دينهم وطقوسهم بكامل حرّيتهم ، دون أن يكون لهم الحق في إِيذاء المسلمين ، أو الدعوة إلى النصرانية في أرض الإسلام أو نصرة أعداء الإسلام .

ويبقى موقف النصارى عبر التاريخ ، وهم يقيمون بين ظهراني المسلمين ، أقرب مودّة للمسلمين ، وأكثر استعداداً للسماع لدين الله الواحد ، ليسلم من شاء أن يسلم ، وليظل على دينه من آثر ذلك ، دون إكراه ولا إيذاء .

ولنستمع إلى بعض الآيات الكريمة توضح لنا ذلك :

﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [المائدة :٨٢]

إذن فالنصارى هم أقرب مودَّة للمسلمين المؤمنين الذين يؤمنون بأن دين الله واحد هو الإسلام . وجاء التاريخ والأحداث تصدّق ذلك في الواقع أيام الرسول ﷺ وأيام الخلفاء الراشدين ، دون الالتفات إلى أحداث الحروب الصليبية ، فتلك حروب سياسية تحمل أطماع الغزو ، ولا تحمل رسالة الله إلى عباده ، ولا ما بعث به الأنبياء والمرسلين ! ولم يجد النصارى ولا اليهود أعدل ولا أرحم بهم من حكم الإسلام في تاريخهم الطويل وتحت نظم متعددة وفي بقاع مختلفة .

وكثير من النصارى دخلوا في الإسلام حين توافر الجو الهادئ الذي لا يحمل الشحناء والبغضاء والعدوان ، تصديقاً لقوله سبحانه وتعالى :

﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ . وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ . فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ . وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ [المائدة :٨٣-٨٦]

هكذا كان فريق من النصارى يستجيبون لدعوة الإسلام استجابة صدق وخشوع وخشية من الله . واسمع هذه الكلمات التي ينطقون بها تهزّ القلوب هزّاً عنيفاً: « .... وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ » !

لكنّ القضيّة المهمة هي أن يظل المسلمون ماضين بما كلفهم الله به وأمرهم به من

تبليغ رسالته إلى الناس كافّة وإلى أهل الكتاب ، ولكن يبدو أن هذا الأمر قد توقف ...!

إن تاريخ النصرانية ، وخاصة في الإمبراطورية الرومانية، تعرَّض فيه النصارى إلى فِتنٍ كثيرة . وسواء أكان ذلك بسبب التعذيب أم بسبب غيره ، فقد دخلوا مع قسطنطين في مفاوضات يمكن الرجوع إليها تاريخياً . ولكن لم يكن كل النصارى موافقين على ما آلت إليه المفاوضات . فهناك فئة لم ترضَ بما تم الاتفاق عليه لأنه تدخل بالمعتقد والتصور. هذه الفئة تسمى « الآريوسيين » نسبة إلى الكاهن الإسكندري آريوس الذي توفي سنة ٣٣٦م ، وتقول هذه الفئة إن عيسى عليه السلام ليس مشابهاً لله في الجوهر . ولكن المجمع المنعقد في « نيقية » والمسمى «بالمجمع المسكوني » أصدر قراراً « بعقيدة نيسين Nicene Creed » ينصّ على الطبيعة الثلاثية لعيسى عليه السلام «Trinity»، طبيعة الأب والابن والروح القدس ، وهذا تصوّرٌ لم يأتِ به عيسى عليه السلام ، ولكنه كان تصوراً نابعاً من آثار التصور الوثني الذي كان يحكم اليونان والرومان آنذاك . ولما جاء الإمبراطور تيودوسيوس (٣٤٦م - ٣٩٥م) فرض هذه الكنيسة الكاثوليكية ومذهبها على جميع أنحاء الإمبراطورية الرومانية ، ودعا إلى لقاءٍ كنسيٍّ جديد ، أقرّ عقيدة «نيسين»، وتبنّى التصوُّر الثلاثيَّ لعيسى عليه السلام ، وطارد الآريوسيين حتى قضى عليهم ، وهدّم مكتبة الإسكندرية ، وانقسمت بعده الإمبراطورية الرومانية إلى غربيّة في روما وشرقية في القسطنطينية [١] .

إن الطقوس الدينية التي ظهرت مع هذه القرارات والانحرافات لم يكن لها أصل في رسالة عيسى عليه السلام ، وإنما هي من وضع البشر أنفسهم بعيدة عن أصل دينهم ورسالة عيسى، هي من أصل وثنيّ مضاد لأصل التوحيد الخالص لله ! وهذه أمور ثابتة تاريخياً .

(١) يراجع كتاب : «المسلمون بين العلمانيّة وحقوق الإنسان الوضعية» للمؤلف - ص : (١٥-٢٥) ، وكذلك نشأة العلمانية : الفصل الثاني : ص (٢٧-٥٤) .

ولقد ناقش القرآن الكريم ، وهو الرسالة الخاتمة ، النصرانية كما ناقش المعتقدات اليهودية . ومن الضروري أن نذكِّر هنا بأن الإنجيل كما أنزل على عيسى عليه السلام ، لم يسجَّل إلا بعد زمن طويل . سجّله رجال النصارى على قدر ما أمكنهم أن يتذكَّروا، وحذفوا منه ما شاؤوا ، وحذفوا ذكر النبي محمد ﷺ وأوصافه ، فقد وقع التحريف عندهم كما وقع عند اليهود .

ومن هنا ندرك فضل الله ورحمته بعباده جميعاً حين يسّر كتابةَ ما يُوحي به على محمد ﷺ حال نزوله من عدد من الصحابة رضي الله عنهم ، خلافاً لما حدث مع الإنجيل والتوراة ، حيث سُجِّل ما نُزّل بعد زمن طويل بقدر ما وعى علماؤهم من ذلك في صدورهم .

ولذلك وقعت تصورات جديدة في المعتقد والدين لم يأت بها عيسى عليه السلام .

وقد عرض القرآن الكريم هذه الانحرافات صريحة واضحة :

﴿ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ [المائدة :١٤]

ثم يذكّر الله سبحانه وتعالى بفضل الله حيث بعث رسول الله ﷺ ليبيّن لأهل الكتاب ما كانوا يخفونه من الكتاب :

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ . يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [المائدة : ١٥-١٦]

ثم يبين الله سبحانه وتعالى خطورة الانحراف والتحريف الذي وقع أو الذي مارسوه :

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

[المائدة :١٧]

وقد أخذت الفتنةُ اليهودَ والنصارى ، واعتبروا أنهم هم وحدهم أحبَّاء الله وأبناؤه ، يزكُّون أَنفسهم من عند أنفسهم ، ولم يزكّهم الله :

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ [المائدة :١٨]

وكذلك :

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ [المائدة :٧٢]

وكذلك :

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ . أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [المائدة : ٧٣-٧٤]

وإنه لسؤال حق ! أفلم تتَّضحْ لهم الرؤية بعد رسالة محمد ﷺ ، ويتبيّن لهم خطورة الشرك بالله الواحد الأحد ، وقد دعاهم القرآن إلى صفاء التوحيد وجوهر الإيمان، وبيّنَ لهم ما تورّطوا به من شرك وتحريف في كتابهم ؟! ألم تنكشف لهم حقيقة التوحيد وخطورة

الشرك ؟! فإذا تبيّنتْ لهم فلماذا لا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم .

ثم يُذكِّرهم الله بحقيقة عيسى بن مريم بأنه رسولٌ قد خلت من قبله الرسل :

﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾

[المائدة :٧٥]

ثم يتوالى التوجيه الرباني لأهل الكتاب مذكراً وناهياً عن كل ضلالة قد وقعوا فيها :

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ [المائدة :٧٧]

ثم تأتي لعنة الله على الذين كفروا من بني إسرائيل :

﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ . كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ . تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ . وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾

[المائدة : ٧٨-٨١]

إنها لعنة من الله ماضية مع الدهر كله ما لم يتوبوا إلى الله ، ويتركوا الكفر والشرك ويعودوا إلى رسالة التوحيد الخالص .

إن التحريف والانحراف كان مُنطلِقاً من قلوب يملَؤُها الحقد والكراهية والحسد الشديد لمحمد ﷺ ورسالته التي كشفت الحقائق جليّة . ولنتذكر كلمة حُيَيّ بن أخطب

حين سأله أخوه أبو ياسر بن أخطب ، بعد أن زارا الرسول ﷺ ثم غادراه . فقال أبو ياسر لحييّ : أهو هو ؟! قال حُيَيّ : نعم والله ! قال أبو ياسر : أتعرفه وتثبته ؟! قال : نعم ! قال أبو ياسر : فما في نفسك منه ؟! قال : عداوته والله ما بقيت !

لماذا عداوته ؟!! لأنه توقع أنه سينزع منهم وجاهة الدنيا ، حسد لا مسوّغ له ، وفي كتابهم التوراة كما هو في الإنجيل ، ذكر محمد ﷺ وذكر صفاته حتى عرفها حُيَيّ في شخص الرسول ﷺ . وينتقل هذا الحقد والحسد إلى معظم اليهود الذين لم يبلغهم التوحيد الذي جاء به موسى عليه السلام ليكون هو الذي يوجههم ويكون فكرهم ويحدّد سلوكهم وموقفهم .

ولنتذكر أن الله قد أخذ العهد من جميع الأنبياء والمرسلين أن يؤمنوا بمحمد ﷺ وينصروه ، كما ذكرنا من قبل ، ونعيد الآية الكريمة في هذا الصدد هنا كذلك للأهمية :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ . فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ . أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ. قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ . وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾

[آل عمران : ٨١-٨٥]

صورة جليّة قويّة تقطع كلّ شك ، وتثبت الحقّ من عند الله بأن دين الله واحد هو دين جميع النبيين بعثهم الله به ديناً واحداً هو الإسلام . أخذ الله العهد من جميع النبيين أن

يصدّقوا خاتم الأنبياء والمرسلين محمداً ﷺ وينصرونه ، ومن يتولّى بعد ذلك ، ويخفي ما جاء من عند الله أو يحرفه فأولئك هم الفاسقون .

وإذا كان هناك طائفة من أهل الكتاب ، من النصارى بخاصّة ومن اليهود ، آمنت بالإسلام ، بالرسالة الخاتمة ، فهناك طائفة أخرى حملت الحقد والعداء دون وجه حق .

فلقد حاولت طائفة من أهل الكتاب أن يدفعوا المؤمنين من أصحاب محمد ﷺ إلى الكفر والضلالة ، وقالوا آمنوا معهم أول النهار ثم اكفروا آخره لعل ذلك يفتن المؤمنين:

﴿ وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ . يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ . يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ . وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ . وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ . يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [آل عمران :٦٩-٧٤]

فتنة واسعة ممتدّة مع التاريخ إلا أن يشاء الله ، بيده الفضل ، يهدي من يشاء ويضلّ من يشاء على حكمة بالغة وقضاء نافذ وقدرٍ غالب ، ولكن واجب المسلمين أن يمضوا بما أمرهم الله به من تبليغ رسالته إلى الناس كافّة ، وإلى أهل الكتاب ، إلى اليهود والنصارى، حتى تظل الحجّة قائمة عليهم إلى يوم القيامة .

ولقد أخذ الله الميثاق من أهل الكتاب أن يبيّنوا للناس الحقّ الذي جاءهم من عند الله ولا يكتموه ولا يخفوه منه شيئاً ، فأعطوا العهد والميثاق ثم نبذوه وراء ظهورهم ولم يوفوا به :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾

[آل عمران :١٨٧]

ويمضي القرآن الكريم في دعوته أهل الكتاب كافة إلى أن يؤمنوا بما نزّل الله مصدّقاً لما معهم ، أن يؤمنوا بدين الله الواحد ، بالإسلام ، وبمحمد ﷺ :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا . إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ [النساء :٤٧ـ٤٨]

ويخاطب الله سبحانه وتعالى المؤمنين أصحاب محمد ﷺ والمؤمنين أبد الدهر بما يوجه إيمانهم إلى الصورة الحق والإيمان المتكامل :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [النساء :١٣٦]

هذه أسس ثابتة من أسس الإيمان : الإيمان بالله ورسوله ﷺ، والإيمان بالقرآن الكريم الذي نزّله الله على رسوله ﷺ ، وكل كتاب أنزله الله على رُسُلِه السابقين ، والإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الأخر ، وبغير هذا التكامل لا يكون هناك إيمان وإنما ضلال بعيد .

ويتابع القرآن الكريم خطابه إلى أهل الكتاب بعامة والنصارى بخاصة حتى يستقيم إيمانهم ، يتابع بذلك دعوتهم المستمرّة إلى الحق، ليذكرنا الله بواجب المؤمنين أن

يمضوا أبداً بدعوة أهل الكتاب إلى الحق بالحكمة والموعظة الحسنة :

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾

[النساء : ١٧١]

ويؤكد الله سبحانه وتعالى هذه القضية الخطيرة بأن المسيح نفسه لن يستنكف أبداً أن يكون عبداً لله ، فلماذا أنتم يا أهل الكتاب جعلتم منه ولداً له ، وحيناً ثالث ثلاثة :

﴿ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴾ [النساء :١٧٢]

وكذلك :

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا . وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا . وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا . بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا . وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ [النساء : ١٥٥-١٥٩]

انحرافات كثيرة متوالية : نقض لميثاقهم ، وكفرهم بآيات الله ، وقتلهم الأنبياء بغير حق ، وقولهم إن قلوبهم غلف ، وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً ، وقولهم إنهم قتلوا المسيح عيسى بن مريم وما قتلوه وما صلبوه ... !

وجاء كتاب الله القرآن الكريم ليبيّن لهم الحقّ ، ويبيّن لهم ما ارتكبوه من أخطاء وانحراف ، ليتوبوا إلى الله ويستغفروه ، ويلتزموا الدين الحق ، دين الله الإسلام ، دين أنبيائهم ورسلهم .

الفصل الثاني
اليهود والنصارى
وواقع المسلمين اليوم

لقد لاقى اليهود في فترات من التاريخ اضطهاداً في أماكن متعددة ، وكأنه لم يكن مرغوباً بهم في أي مرحلة من مراحل تاريخهم، إلا عندما يرتبطون بمصالح مشتركة ينشرون من خلالها الفساد في الأرض ، كما في قوله سبحانه وتعالى :

﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء :٤]

وكأن علوّهم في الأرض مرتبط بفسادهم وإفسادهم فيها .

لقد ذاقوا العذاب الشديد من النصارى في أسبانيا ، وفي ألمانيا ، وسائر الدول الأوروبية ، خلاف ما ذاقوه في تاريخهم الماضي من الآشوريين والكلدانيين الذين دمروا القدس ، ودمروا معبد اليهود ونفوا اليهود إلى بابل .

كل ما ذاقوه من العذاب لم يكن إلا بسبب شدة غدرهم وخيانتهم وتآمرهم . وكانوا يستخدمون أحط الوسائل من أجل ذلك ، ومن بينها استغلال نسائهم ليقيموا علاقات فاسدة مع هؤلاء وهؤلاء لمصلحة مفسدة من مصالح اليهود .(١)

ولقد بدأ اليهود بعد ذلك بمحاولات كثيرة لدفع الأذى عنهم . وكان من أهم وسائلهم وأبرزها تسلُّلُهم إلى ديانات أخرى كاذبين خادعين : فقد تسللوا إلى النصرانية حتى كان بعض الباباوات في الكنيسة الكاثوليكية منهم ، وبعض القسيسين . كما تسللوا إلى كثير من الأحزاب السياسية ينشرون عن طريقها الفساد والإفساد . وقد تسللوا إلى

(١) يراجع كتاب : « المسلمون بين العلمانية وحقوق الإنسان الوضعية » للمؤلف : الباب الرابع - ص (١٨٥) .

قلب الخلافة الإسلامية العثمانية بما عرف « بيهود الدونمة » ! وكان لهم دور كبير جداً في إسقاط الخلافة الإسلامية .

إن فساد اليهود في الأرض ممتدٌّ على مساحة واسعة ، وحسبك مواقفهم من دعوة الرسول ﷺ ، وكفرهم به ، وغدرهم وخيانتهم ، حتى أخمد الرسول ﷺ نار تآمرهم وخيانتهم ، وأسكت مؤامراتهم وأخرجهم من جزيرة العرب .

أما اليوم فنجد الصورة مقلوبة ، حيث أصبحت معظم دول أوروبا ، وكذلك أمريكا وروسيا وغيرها مؤيّدة لليهود ودولتهم إسرائيل تأييداً شاملاً لم يعرفه تاريخ اليهود . فما السبب أو الأسباب وراء هذا التغيّر والتبدّل .

نعتقد أن هنالك ثلاثة أسباب على الأقل دفعت إلى هذا الاتجاه :

السبب الأول : هو انتشار العلمانيّة التي سيطرت على الاتجاه الرسميّ لدى الدول الغربية وأمريكا واليهود ، يخفون تحتها الحنين والعاطفة لديانتهم الأصلية . فلقد قرّبت العلمانيّة اليهود والنصارى بعضهم من بعض ، وأنشأت بينهم مصالح مشتركة في ميادين الاقتصاد والعلوم والصناعة والسياسة .ومن خلال العلمانية ظهرت الرأسمالية كنظام اقتصاديٍّ مجرم غذّى استغلال طبقة الأغنياء والرأسماليين لطبقة العامة من الناس ، الطبقة العامة التي استطاع الرأسماليون أن يُخدِّروها بفتات من مصالحهم وحاجتهم، وبشعارات متعدّدة يطرحونها دون أن يكون لها رصيد حقيقي في الواقع ، إلا بمقدار ما يُسْكِتُ العامة ويخدِّرهم ، وكذلك بانتشار الفتنة والفواحش واللهو بصورة واسعة جداً تعمّ الأمة كلها ، وبنظم ومبادئ يطرحونها ، ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب ، كالديمقراطية والاشتراكية وغيرهما ، والديمقراطية بصورة خاصة ، استطاع النظام الرأسمالي أن يصوغها بحث تكون أول عامل مخدّر للشعوب والعامة ، بحيث يضع هؤلاء جهودهم في خدمة الرأسمالية ورجالها. وتحرّك اليهود من خلال ذلك ليكونوا علمانيين مغرقين في

العلمانية، وليكونوا متديّنين يستغلّون الدين لمصالحهم ، فاستطاعوا النفاذ إلى الطبقات المجرمة في العالم المنتسب إلى النصرانية ، وبناء علاقات متبادلة ومصالح متبادلة ، وكان اليهود يستغلّون بمهارة وتخطيط ما لاقوه من أذى وأحداث قاسية ، يستدرون بها عطف الشعوب وعطف مختلف الطبقات .

السبب الثاني : هو ضعف المسلمين وهوانهم ، وتفلّت الكثيرين منهم من الإسلام، وانصراف بعضهم إلى العلمانية ، وتسرّب ثقافة الغرب وفكره إلى قلب العالم الإسلامي ، ليزيده ضعفاً ، ويزيد أولئك طمعاً بالعالم الإسلامي ، بثرواته وخيراته .

السبب الثالث : وهو الأهم ، هو وجود نيّة وعزيمة لدى هؤلاء وهؤلاء لمحاربة الإسلام والمسلمين بأساليب خفيّة وعلنيّة، بأساليب عسكرية وسياسية واجتماعية واقتصادية ، وبثِّ الفرقة والتمزّق بين المسلمين ، وإنشاء طوائف على طوائف ، وفتن على فتن. إنه التصميم على محاربة الإسلام .

لقد وجد الغرب المستعمر العلماني الذي يُخفي عداءه للإسلام بين جوانحه ، أن الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ ولم يمسّه تحريف ولا تبديل ، هو العقبة الكأداء أمام نهب ثروات وخيرات العالم الإسلامي . وكأنه رأى أن الحلّ بالنسبة إليه إزاحة هذا الإسلام عن طريقه ، إزاحته بكل الوسائل الاستعمارية والديمقراطية والمؤامرات المتتالية التي لا تكاد تقف عند حد . ويبدو أن هذه القضية أخذت على الغرب فكره وتخطيطه، واجتمعت الجهود عليها ، وانضم اليهود إلى هذه الجهود في حرب خفيّة على العالم الإسلامي ، ثم أصبحت حرباً جريئة يعلنون أساليبهم في تشويه الإسلام وتغيير معالمه . وقامت من أجل ذلك مؤسسات كثيرة . والتقت في هذا السبيل جهود ثلاث فئات عاملة نشيطة : الحركات التنصيرية ، الدول الغربية العلمانية ظاهراً ، التي تُمُدُّ الحركاتِ التنصيرية بكل أسباب القوة والانتشار، ثم اليهود ومؤسساتهم وحركاتهم الكثيرة مثل ، الماسونية ،

والصهيونية ، وغير ذلك . نسوا حقيقة رسالة أنبيائهم الأَساسية والمحرّفة ، واستغلوا الدّين ليساهم في تنفيذ هذه الجريمة الكبيرة على مدى زمن ممتدٍّ لا يتوقَّف ، ومازالت الجهود تشتدُّ وتتضاعف في الحرب على الإسلام.

ومن أهم ما اتفقت عليه هذه الأطراف كلها إقامة دولة إسرائيل في قلب العالم الإسلامي ، لتكون قاعدة رئيسة في هذه الحرب ضد الإسلام .

وإن ضعْف العالم الإسلامي اليوم سبَّب اشتدادَ المعركة ضد الإسلام وتنوُّع أساليبه، حتى أخذ صورة من الجرأة في مهاجمة الإسلام فكراً وعدواناً ومكراً . وحسبك تقرير «مؤسسة راند» الأمريكية الأخير لسنة ٢٠١٠م[١] .

أصبح واقع المسلمين اليوم يتميّز بالهوان والضعف والغفلة ، ويتميّز بشدة اختراق المجتمعات الإسلامية من قبل الحداثة والعلمانية والحركات التنصيرية وغيرها من الحركات السياسية والفكرية المعادية للإسلام ، حتى أصبح عدد غير قليل من المنتسبين إلى الإسلام ينادون بالعلمانية وأمثالها ، بل من الشيوخ والمنتسبين إلى فئة العلماء ! وأصبح كثير من المسلمين ينادون بالديمقراطية رغبة بالعدل والمساواة والحرية ، كأنه ليس في الإسلام عدل ولا حرية ولا مساواة ! وأخذت كلمة الإسلام تغيب شيئاً فشيئاً ويدوّي بدلاً منها « المواطنة » و « القومية » وأمثالها ، حتى أصبح المجتمع المنتسب أصلاً إلى الإسلام يضمّ خليطاً عجيباً من المبادئ والأفكار والشعارات ! وقد يخلط كثير من المسلمين بين الإسلام المنزل من عند الله وبين ما يرونه في واقع كثير من ديار المسلمين .

وفي بعض المواقع أصبح المسلم يجد نفسه غريباً ، تحيط به طوائف شتى تنال الحظوة، وأصبح كثير من المجتمعات التي كانت إسلامية في تاريخها كأنما رفع الإسلام منها ، وأصبحت الغارة على العالم الإسلامي كله تشتد اشتداداً عنيفاً : فمن جيوش تزحف ،

(١) يراجع كتاب : «إسلام ربّاني لا إسلام ديمقراطي» للمؤلف .

وصواريخ تنهال ، ومدافع تقصف وتدمِّر ، إلى فتن تُشعَل ونار تلتهب منها ، إلى مبادئ غربية معادية للإسلام تمتدّ وتنتشر ، إلى ضعف وهوان من المسلمين في مقابلة ذلك ، إلا نشاطاً متفرّقاً هنا وهناك . وأسوأُ ما في الأمر وأخطره تمزّق المسلمين دياراً وحدوداً ، ومصالح وأهواء ، وشيعاً وأحزاباً .

إن جوهر المعركة الحقيقي هو بين النظرة الصادقة إلى الدار الآخرة والنظرة الخاضِعَة للدنيا وزخرفها وزينتها . العلمانيّة والديمقراطية والحداثة وأمثال هذه الأفكار كانت قضيتها الأولى والأخيرة هي الدنيا وحدها ، لا علاقة لها بالدار الآخرة، فقد تخلّت عن ذلك كلية ، وتركت أمرها لكل إنسان ينظر إليها كما يشاء دون أي علاقة أو توجيه من الأمة أو الدولة ، لا في نظامها ولا في قوانينها ولا في سياستها ولا في اقتصادها، ولا في التربية والبناء ، ولا في الأدب ، ولا في أي جانب من جوانب الحياة ، إنما هي الحياة الدنيا فقط بنظرة مادّية تحكم الأمة كلها . وبذلك يصبح المجتمع والدولة والنظام دعوة واضحة لكل فرد أن يأخذ بهذه النظرة المادية التي تحكمه في البيت والمدرسة والإعلام والمجتمع وسائر ميادين الحياة .

أما في الإسلام فالنظرة مختلفة كلية ، فالإسلام يقرر أن الدار الآخرة أولى بالإيثار ، دون تعطيل نصيب الإنسان من الدنيا على طريق الآخرة :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ . أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ . إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ . دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [يونس :٧-١٠]

وكذلك :

﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ . أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [هود : ١٥-١٦]

وكذلك :

﴿ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ. الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴾ [إبراهيم :٢-٣]

وكذلك :

﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ. وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ . وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ . وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ . وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ [الزخرف : ٣٣-٣٧]

وكذلك :

﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنعام :٣٢]

وكذلك :

﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا . وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ

فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا . كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ [الإسراء : ١٨-٢٠]

وكذلك :

﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ [الحديد : ٢٠][١]

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه عن الرسول ﷺ قال : « **لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضه ما سقى الكافر منها شربة ماء** » [الترمذي والضياء][٢]

وكذلك :

وعن المستورد رضي الله عنه عن الرسول ﷺ قال : « **والله، ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه هذه في اليم ، فلينظر بِمَ يرجع** »

[أحمد ، مسلم ، ابن ماجه][٣]

والكتاب والسنة فيهما البيان المفصّل الشافي عن هذه القضية الخطيرة ، في آيات محكمات .

ويبدو أن المشكلة في واقعنا اليوم تكمن في أن كثيراً من المسلمين لا يقرؤون كتاب الله ، وإذا قرأه بعضهم فإن منهم من لا يتدبّر كتاب الله كما يجب أن يتدبره المؤمن، وكما كان يتدبره أصحاب رسول الله ﷺ . فأصبح الجهل بالكتاب والسنّة متفشّياً بين المسلمين، وكذلك الجهل باللغة العربية !

(١) يراجع كتاب : « إيثار الدار الآخرة على الدنيا في قبسات من الكتاب والسنة » للمؤلف .
(٢) صحيح الجامع الصغير وزيادته : رقم (٥٢٩٢) .
(٣) صحيح الجامع الصغير وزيادته : رقم (٧١٠٠) .

المسلمون في الأرض يزيدون عن المليار ، واليهود في الأرض كلها لا يزيدون عن خمسة عشر مليوناً . فوا عجباه ! هذا العدد القليل من اليهود يثبت وجوده اليوم في الواقع، ويجهر بيهوديته ، ويجهر بطلبه الاعتراف بدولة إسرائيل دولةً يهودية ، وبعض المسلمين يتردّد في إعلان كلمة الإسلام ، ويستبدل بها القومية أو الوطنية أو الإقليمية، كأنه يخشى أن يُتَّهم بأنه مسلم !

لقد تـردّى واقـع المسلمين اليوم ، ورُفِـع الحكم بشرع الله من كثير من بلاد المسلمين.

لقد غلبت العصبيات الجاهلية المحرّمة في بعض بلاد المسلمين ، وغلبت في بعضها الأخر الأهواء وتيهها وظلامها ، وانحرفت بعض البلاد إلى الصورة العلمانية ، والناس هنا وهناك غافلون نائمون ، أو تائهون حائرون .

في تلك الفترة الطويلة التي كان يعمل فيها اليهود ليقيموا دولتهم في فلسطين ، الفترة التي بذلوا غاية مكرهم ونشاطهم وجهدهم في الأرض كلها ، في أمريكا وأوروبا وروسيا واليابان والصين والهند والعالم الإسلامي ، وغيرها ، خلال هذه الفترة من النشاط الشديد لليهود ماذا كان يفعل المسلمون ؟!

كان المسلمون قد شُغِلوا في فتن بينهم ، وشقاق وتنافر وتدابر، بل كان منهم من تولّى حرب الإِسلام حرباً شديدة ووفّر على أعداء الله جهوداً كثيرةً !

إن الحرب ضد الإسلام مازالت مستمرّة تتكاتف من أجلها جهود دول كثيرة ومبادئ كثيرة ومؤسسات كثيرة . وستستمر الحرب مع مقبل الأيام كما استمرت فيما أدبر من الأيام . ابتدأت هذه الحرب عندما بُعث محمد ﷺ ، واشتدت الحرب وبلغت ذروتها في معركة الأحزاب حين أحاط المجرمون بالمدينة المنورة يسندهم اليهود ، فردّ الله كيدهم لمّا كان الصف المؤمن صادقاً في قلبه وبذله ، صفّاً واحداً كالبنيان المرصوص .

والخطر على العالم الإسلامي مازال ممتدّاً ، والغارة عليه آخذة بالاشتداد ، ولن يتوقف أعداء الله المجرمون عن حربهم ضد الإسلام حتى يروا العالم الإسلامي كله غاب في دياجير الأهواء والهوان والضعف ، أو التبعية الرخيصة والذلة ، مجرّدين من أيّ قوة حقيقية فيهم ، إلا أن يبني المسلمون أنفسهم قوّتهم الإيمانية وعزّتهم بالله ورسوله ودين الله :

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ [الأنفال : ٦٠]

وكذلك :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [الأنفال : ٤٥-٤٦]

ولنتدبّر قوله سبحانه وتعالى :

﴿ ... وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة : ٢١٧]

نعم ! هذه هي الحقيقة البارزة في الواقع سابقاً واليوم وغداً :

﴿ ... وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ... ﴾

فالحرب ضد الإسلام ماضية مستمرة **(وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ)** منذ أن بدأت حتى يوم القيامة لن تتوقف إلا أن يرتد المسلم عن دينه فيمت وهو كافر فيكون خالداً في نار جهنم .

الحرب مستمرة بجميع أساليبها وأشكالها وأسلحتها : حرب عسكرية ، وحرب فكرية ، وحرب اقتصادية ، وحرب في كل مكان، « ... **حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا** ... » .

إن كل محاولة لبناء قوّة حقيقية تقف في وجه هذه الحرب المستمرّة الممتدة لن تفلح إلا إذا قامت على أساس من العودة الصادقة إلى الله سبحانه وتعالى ، إلى الإيمان الصادق ، إلى الالتزام الصادق بدين الله الحق ، دين الإسلام ، بالكتاب والسنّة واللغة العربية ووعي الواقع من خلال منهاج الله . وبغير هذه العودة لن تثمر الجهود .

﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال : ١٠]

وكذلك :

﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ [آل عمران : ١٢٦]

وإنّ من أسس الإيمان الصادق إيثار الدار الآخرة على الدنيا ، حتى تطرق الأمة أبواب الجنة بسعيها الصادق في الحياة الدنيا ، فتنال بذلك عزّ الآخرة وعزّ الدنيا . وإنها لمجاهدة للنفس قوية ، وجهاد في السعي كريم ، ومصاحبة لمنهاج الله ـ قرآناً وسنة ولغة عربية ـ مصاحبة منهجيّة مصاحبة عمر وحياة لا تتوقف ، ليكون منهاج الله هو الذي يفتح الدرب أمام الأمة بفضل الله وهدايته ، وينير السبيل .

إنها الأمانة التي وضعها الله في عنق الإنسان ليوفي بها في حياته الدنيا ، إنها الأمانة والعهد والخلافة والعبادة ، لكي يحمل الإنسان هذه المسؤولية عبادة خالصة لله حتى تكون كلمة الله هي العليا . وإن اقتضت سنة الله في عباده أن يبتليهم ويمحصهم ، ليكون

منهم المؤمن الصادق والكافر العنيد ، فإن الأمانة والعهد أصبحت بذلك في عنق المؤمنين الصادقين ، عنق الأمة المسلمة التي أخرجها الله للناس :

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾

[آل عمران : ١١٠]

فإلى هذا السبيل انهضوا أيها المسلمون صفّاً واحداً لتنصروا الله فينصركم ولتوفوا بالعهد والأمانة ولتكونوا من أصحاب الجنة :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾

[محمد :٧]



الباب الرابع

الفصـل الأول : موسى عليه السلام يخاطب قومه : « يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ ... » .

الفصل الثاني : مع الآية الكريمة :«... وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ» .

الفصل الأول

موسى عليه السلام يخاطب قومه

« ... يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ »

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ . يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ. قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ . قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ . قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ . قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ. قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ [المائدة : ٢٠-٢٦]

وقبل أن تدخل في ظلال هذه الآيات الكريمة ، نودُّ أن نَعُود قليلاً إلى آيات كريمة في سورة يونس :

﴿ وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ . فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ . وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [يونس : ٨٤-٨٦]

لقد بعث الله موسى عليه السلام إلى بني إسرائيل جميعهم برسالة الله وبدينه الحق الواحد الذي بعث به جميع الأنبياء والمرسلين ! إنه دين الإسلام ! وفي محنة بني إسرائيل في

ظل حكم فرعون وفي دعوة موسى عليه السلام قومه إلى الإسلام ، في هذه المحنة والشدّة التي يعانون منها ، طلب إليهم أن يتوكّلوا على الله وحده إن كانوا مسلمين ، أي إن آمنوا برسالته ودعوته إلى الإسلام !

هذه هي القاعدة الرئيسة التي توضح لنا كلّ آية في كتاب الله تتعلّق بموسى عليه السلام ورسالته إلى قومه بني إسرائيل ، رسالة الإسلام . وبغير ذلك لن تتضح لنا معاني بعض الآيات الكريمة بهذا الصدد .

إنها حقيقة ربّانية غائبة عن أذهان كثير من المسلمين وهم يتلون كتاب الله ، وكلما ذكر موسى عليه السلام ، أو بنو إسرائيل، تمثّل في ذهن الكثير من المسلمين أن أولئك هم اليهود ، واليهود فقط! وهذا خطأ كبير ، فموسى عليه السلام نبيّ ورسول مسلم بعثه الله بالإسلام ، وكان من آمن به واتبعه مسلماً أيضاً .

إذن موسى عليه السلام دعا قومه إلى الإسلام . فمنهم من صدق وآمن ، ومنهم من ضعف وتردد ، ومنهم من نافق ، ومنهم من كفر وارتدّ ! وكل هؤلاء كانوا يمثلون بني إسرائيل أيام موسى عليه السلام ، ثمّ جاءت الأحداث لتمحّص بني إسرائيل وتكشف حقيقة كل فرد أو فريق ، ومدى استجابته لدعوة الإسلام والتزامها .

ومن أهم هذه الأحداث وأخطرها ما تعرضه لنا الآيات الكريمة من سورة المائدة، الآيات التي افتتحنا بها كلمتنا هذه ، والتي كثيراً ما يساء فهمها حين تنفصل عن الآيات من سورة يونس في ذهن كثير من المسلمين .

« **وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ ...** » ! من هو موسى عليه السلام ، ومن هم قومه الذين يخاطبهم ؟! فموسى عليه السلام هو رسول الله إلى بني إسرائيل بعثه الله إليهم برسالة الإسلام ، بدين الله الواحد الحق ، دين جميع الرسل والأنبياء الذين بعثهم الله !

أما قوم موسى فهم الذين بلّغهم موسى عليه السلام رسالة الله ودينه الحق ، وكان

فيهم المؤمن الصادق القوي والمؤمن الضعيف والمنافق وغير ذلك . ولكنهم جميعهم في تلك اللحظات كانوا في خطاب موسى عليه السلام إليهم مسلمين . فبدأ موسى يذكّر قومه بنعم الله عليهم ، النعم التي لم يؤتِ أحداً من العالمين مثلها : إذ جعل فيكم أنبياء، وجعلكم ملوكاً ، وجعل الأنبياء كلهم والملوك كلهم مسلمين مؤمنين بدين الله الحق الواحد ، دين الإسلام . وبناء على هذه النعم الكبيرة ، فإنّ الله يأمركم ، كما أَن رسالة الإسلام تأمركم، ودين الله الإسلام يأمركم أن تدخلوا الأرض المقدّسة ، فلسطين ، التي ساد فيها قوم كفارٌ ظالمون ، لتبلّغوا رسالة الله إليهم ، ودينه الإسلام ، يأمركم أن تدخلوا الأرض المقدسة فلسطين التي كتبها الله للإسلام والمسلمين ، والتي أخذت قدسيّتها من هذا الدين العظيم . وأنتم اليوم يا بني إسرائيل تحملون دعوة الله ودينه الإسلام ، وليس غيركم ، في هذه الفترة التي خاطب فيها موسى قومه . فادخلوا هذه الأرض المقدّسة ، فلسطين ، التي ساد فيها قوم كفارٌ ظالمون ، لتبلّغوا رسالة الله إليهم ، ودينه الإسلام ، يأمركم أن تدخلوا الأرض المقدسة فلسطين التي كتبها الله للإسلام والمسلمين ، والتي أخذت قدسيّتها من هذه الذين العظيم . فادخلوا هذه الأرض المقدّسة واحملوا رسالة الإسلام إلى قومها الجبارين الكافرين . فلقد كتب الله لكم أيها المسلمون الذين آمنتم بالإسلام وحملتم رسالته ، كتب لكم هذه الأرض باسم الإسلام ودين الله الحق .

إن الله سبحانه وتعالى لا يخاطب عباده ، ولا يفضّل بعضاً على بعض على أساس من جنس أو عرق ، ولكن يفضل بعضهم على بعض بالتقوى والإيمان والعمل الصالح. فلم يكن خطاب موسى لبني إسرائيل أن الله كتب فلسطين الأرض المقدسة لهم لأنهم بنو إسرائيل ! كلا ! إنه خاطبهم بذلك لأنهم مسلمون يحملون دين الإسلام الحق ، دين الله الواحد الذي بلّغهم إياه موسى عليه السلام، دين جميع الأنبياء والمرسلين . ثم يؤكّد موسى عليه السلام أهمية هذا التكليف من عند الله لهم وخطورته بقوله: « ... **وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ** » . ولكنهم لم يستجيبوا لدعوة نبيّهم لهوانهم وضعف إيمانهم وعزيمتهم ، وقالوا :

« قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ »

فهم ، من جبنهم وخوفهم من ناحية ، ومن ناحية أخرى عدم فهمهم للمهمة التي كلّفهم بها موسى عليه السلام ، من أن يحملوا دعوة الله ودينه إلى الأرض المقدّسة ، وإلا فما قيمة ذهابهم إلى الأرض المقدسة إذا كانت مجرّد ذهاب دون أيِّ مهمة لهم .

ولكن كان في قوم موسى فئة مؤمنة وَعت دعوة نبيّهم موسى عليه السلام ، وعرفت أنهم مكلفون بمهمة ربانيّة وليس برحلة ونزهة :

« قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ »

نعم ! « ... **مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا** ... » ، أنها الفئة التي وعت رسالة موسى عليه السلام ، وآمنت بها ، فكانوا مسلمين ، فقام منهم رجلان مؤمنان يخافان الله ويخشيانه يقولان : « **ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ** ... »! نعم ! إنكم غالبون بإيمانكم بالله وصدقكم معه ، وتوكلكم عليه ، ووفائكم بالمهمة التي كلفكم بها موسى عليه السلام . يوجهون الخطاب إلى الفئة الضعيفة دون أن يعني ذلك أنهم لا يشاركون في المهمة نفسها . بل هم مشاركون ملبّون لدعوة موسى عليه السلام .

وهنا يصبح معنى قوله سبحانه وتعالى : « ... **ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ** ... » ! أيّ باب ؟! وما هو الباب ؟! أي ادخلوا عليهم بالمهمة التي كلَّفكم بها رسولكم موسى عليه السلام ، فهذا هو الباب الذي يجب أن يدخلوا منه إلى أرض فلسطين المقدّسة ، يحملون رسالة الله ودينه الإسلام إليها . هذا هو باب الدخول إلى الأرض المقدّسة !

فئتان من بني إسرائيل ، من قوم موسى ، برزتا من خلال هذه الآيات الكريمة، وهما الفئتان اللتان تظلان تظهران مع دعوة الرسل والأنبياء : فئة تؤمن وتصدق ، وفئة

تضلّ وتكفر ! في بني إسرائيل ستظل الفئتان هما : المسلمون الذين آمنوا واتبعوا الرسول، واليهود الذين كفروا أو نافقوا ولم يثبتوا على الحق !

شتان بين فهم هذه الآية الكريمة على أن موسى عليه السلام يهودي يخاطب قومه اليهود ، وبين أن موسى عليه السلام رسول مسلم بعثه الله برسالة الإسلام كما بعث سائر النبيين والمرسلين ، وخاطب قومه كما أمره الله بالإسلام دين جميع الأنبياء والمرسلين .

الفصل الثاني

مع الآية الكريمة

« ... وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ »

يقول الله سبحانه وتعالى مخاطباً بني إسرائيل :

﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ . وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ ﴾ [البقرة : ٤٧-٤٨]

هذا الخطاب إلى بني إسرائيل واحد من عدة خطابات ربانية خاطب بها الله بني إسرائيل مذكراً بفضله عليهم ونعمه ، ومذكِّراً باليوم الآخر والحساب بين يديه ، كما أن الله سبحانه وتعالى يُذكِّر عباده كلَّهم بعظيم فضله عليهم :

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ . وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ . وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾

[إبراهيم : ٣٢-٣٤]

إن الله سبحانه وتعالى يُذكِّر عباده جميعاً بعظيم فضله ونعمه عليهم ، ليكون إدراكهم لهذه الحقيقة الهامة الكبيرة عنصراً رئيساً من عناصر الإيمان بالله واليوم الآخر .

ولكن تذكير بني إسرائيل بفضل الله عليهم وعظيم نعمه شيء آخر ، وأسلوب آخر . إنه يذكّر بني إسرائيل بالنعمة الكبرى التي خصّهم الله سبحانه وتعالى بها في وقتهم ذاك ، في ذلك العصر ، وليس تفضيلاً ممتدّاً على مرّ الزمان ، وتفضيلاً مقيّداً بشروط .

وحتى ندرك حقيقة هذا التفضيل يجب أن ندرك حقيقتين كبيرتين :

أولاً : أن فضل الله عظيم على جميع خلقه ، وأنهم إن يعدّوا نعمة الله عليهم لا يستطيعوا إحصاءها .

ثانياً : أن الله سبحانه وتعالى لا يخص عرقاً من البشر ولا جنساً بفضله ونعمِه ، إلا بالتقوى والعمل الصالح والإحسان ونصرة دين الله . لا فضل لجنس على جنس إلا بالتقوى ، وهذا حديث رسول الله ﷺ في خطبة حجة الوداع :

«أيها الناس ! إن ربكم واحد ، وإنّ أباكم واحد، كلكم لآدم ، وآدم من تراب، أكرمكم عند الله أتقاكم ، وليس لعربيٍّ على عجميٍّ فضل إلا بالتقوى، ألا هل بلّغت؟ اللهم اشهد ! قالوا : نعم. قال : فليبلّغ الشاهد منكم الغائب» .

هذا هو أساس التفضيل في ميزان الله . التفضيل الذي يرفع الله به درجات بعض خلقه على بعض ، وما ذلك إلا بالتقوى بمعناها الشامل الكامل .

وهنالك تفضيل بمعنى آخر ، بمعنى التكليف والمسؤولية ابتلاءً منه سبحانه وتعالى ، ليكون بعد ذلك تفضيل وإيثار يرفع الله به الدرجات ، وذلك بمقدار ما يوفي العباد من التكاليف والمسؤوليات، بمقدار ما يوفون بأداء الأمانة !

ويمكن الآن بيسر أن ندرك معنى قوله سبحانه وتعالى لبني إسرائيل :

﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [البقرة : ٤٧ ،١٢٢]

أولاً : كان التفضيل بالتكاليف التي وضعها الله في أعناقهم آنذاك ، تكليف يحَمْل رسالة الله لتبليغها . وقد اختار الله سبحانه وتعالى في ذلك الوقت بني إسرائيل لحكمة هو يعلمها ، للقيام بهذه المهمة .

ثانياً : أن بعث فيهم رسلاً وأنبياء ليوفوا بهذه المهمة التي كلفهم الله بها ، وجعل فيهم ملوكاً كذلك مع سلطان لهم وقوة تمكنهم من تبليغ رسالة الله كما حدث مع سليمان وملكة سبأ :

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾ [المائدة : ٢٠]

نعم ! وآتاهم الله ما لم يؤت أحداً من العالمين في زمانهم ، وفضلهم على العالمين في زمانهم ، وليس بصورة مطلقة وعلى مرّ الزمان . ولكن اليهود والنصارى أخذوا يدّعون باطلاً بأنهم فُضِّلوا على الناس كافة ، وأنهم أبناء الله واحباؤه ، فردّ الله عليهم ادعاءَهم الكاذب :

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ [المائدة :١٨]

وردّ الله ادعاء النصارى الباطل من أن الله هو المسيح بن مريم بقوله سبحانه وتعالى:

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

[المائدة :١٧]

ولذلك كان عهد الله مع بني إسرائيل كما هو عهده مع سائر الأمم يقوم على مدى الصدق والوفاء بالعهد والتكاليف :

﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ

وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾

[المائدة: ١٢]

هذا هو الميثاق والعهد مع الله . وعلى أساسه يكون التفضيل إن أوفوا ، أو الخسران والضلالة إن لم يوفوا ، كما في الآية التالية تعرض الواقع الحقيقي لهم ونقضهم العهد والميثاق ونتيجة ذلك :

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [المائدة: ١٣]

إذن التفضيل الذي سبق ذكره ليس مطلقاً وإنما هو مقيد بالوفاء بالعهد والميثاق . فقد تحوّل التفضيل إلى لعنة تنزل عليهم لأنهم نقضوا الميثاق ، وإلى قسوة في القلوب ، وإلى تحريف كتاب الله، وإلى نسيان بعض ما ذُكِّروا به ، ولا تزال خيانتهم ممتدة إلا قليلاً منهم.

ولم يقتصر الأمر على الذين كفروا من بني إسرائيل ، وهم اليهود كما بيّنا في فصول سابقة ، ولكن امتدّ كذلك إلى الذين قالوا إنا نصارى :

﴿ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ [المائدة: ١٤]

وكذلك كان الحال مع أولئك الذين هم سمّوا أنفسهم «نصارى» أخذ الله منهم الميثاق أيضاً فنسوا كما نسي الذين من قبلهم حظاً مما ذُكِّروا به في كتاب الله فحرّفوه فعاقبهم الله بأن جعل بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة .

إذن لم يكن معنى التفضيل في قوله سبحانه وتعالى : « ...وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ » ، تفضيلاً مبنيّاً على الجنس البشري ، على أنهم بنو إسرائيل ، أو أنهم يهود ، أو أنهم نصارى ، ولم يكن التفضيل إلا في ذلك الزمان وعلى أهل ذلك الزمان بأن حمّلهم مسؤولية رسالة الله ودينه ، وليس تفضيلاً ممتداً مع الزمن كما يَوَدُّ هؤلاء اليهود والنصارى أن يعتبروه .

ونرى من هذه الآيات الكريمة كيف تحوّل التفضيل إلى لعنة حلّت بهم لنقضهم ميثاقهم مع الله ، وإلى عداوة بينهم وبغضاء كذلك .

ثم يُذَكِّرهم الله سبحانه وتعالى بفضله عليهم إذ بعث محمداً ﷺ ليبيّن لهم كثيراً مما كانوا يخفونه من كتاب الله الذي أنزله الله على رسولهم :

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ . يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [المائدة : ١٥-١٦]

وكذلك كتب الله على بني إسرائيل تشريعاً حقّاً :

﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾

[المائدة : ٣٢]

ولقد سبق أن ذكرنا بعض الآيات التي جاءت في القرآن الكريم عن بني إسرائيل مما يكشف ما أنزل الله فيهم مع عقوبات لشدة نقضهم ميثاقهم وكفرهم وضلالهم .
ونعيد ذكر بعضها هنا لإزالة كل التباس حول معنى التفضيل :

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [المائدة : ٤١]

وكذلك قوله سبحانه وتعالى :

﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ . كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ . تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ . وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾

[المائدة : ٧٨-٨١]

ثم تأتي الحقيقة الثابتة بالنسبة لليهود بخاصة :

﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ... ﴾

[المائدة : ٨٢]

نرجو أن يكون معنى « التفضيل » الذي ورد في بعض الآيات بالنسبة لبني إسرائيل أصبح واضحاً وليس موضع لبس أو غموض. فإن آيات الله تجلو الحق وتعرضه بيّناً .

فالتفضيل أولاً هو باختيار الله لبني إسرائيل في ذلك الزمن ليحملوا رسالة الله ودينه الحق دين الإسلام ، ويلتزموه .

والتفضيل ثانياً هو على أهل ذلك الزمن وليس مطلقاً على الدهر كله .

والتفضيل ثالثاً هو باب ابتلاء واختبار وتمحيص كشف فساد فئة من بني إسرائيل وضلالهم .

ونعيد هنا ذكر الآيات الكريمة التي وردت فيها كلمة التفضيل عسى أن يكون المعنى الآن أكثر جلاء :

﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [البقرة :٤٧]

﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [البقرة :١٢٢]

وكذلك :

﴿قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾

[الأعراف :١٤٠]

وكما ذكرنا في أول هذا الفصل فإن هذا التفضيل مرتبط بشروط :

١. إنه تفضيل على أهل زمانهم ذاك وليس تفضيلاً ممتداً مع الزمن.

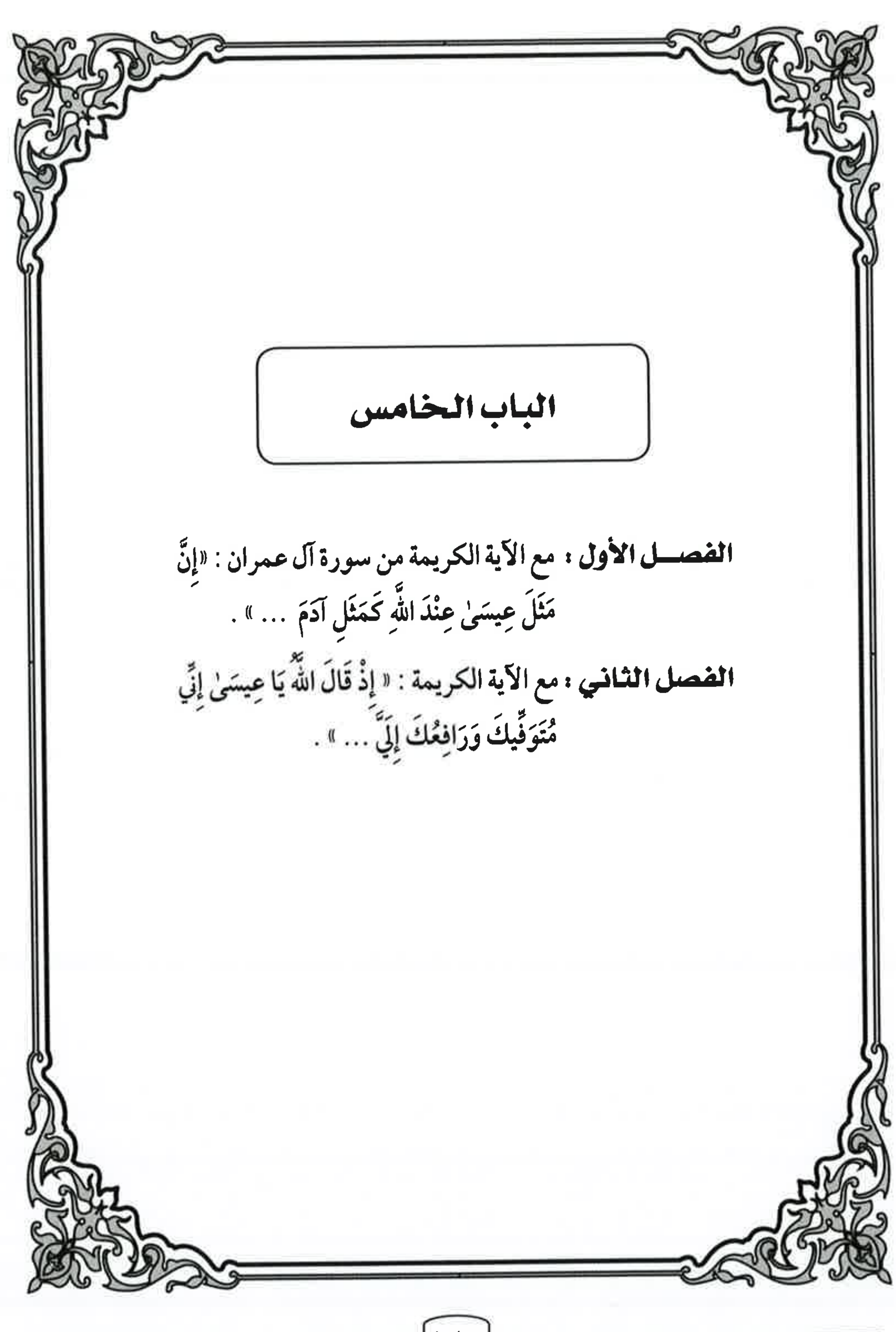
٢. إنه تفضيل تكليف ومسؤولية ، وتفضيل ابتلاء تمحيص . يرتبط بمقدار الوفاء .

٣. إنه تفضيل مرتبط بعهد وميثاق وشروط والتزام .

ولذلك جاء قوله سبحانه وتعالى :

﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾ [البقرة :٤٠]

« ... وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ... » ! وهذه قاعدة ربانية ماضية مع جميع الأمم ، ليكون نصر الله لهم وتفضيلهم مرتبطاً بوفائهم بالعهد والتكاليف والمسؤوليات وجميع الشروط التي يتضمنّها العهد والميثاق .



الباب الخامس

الفصـــل الأول : مع الآية الكريمة من سورة آل عمران : «إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ...» .

الفصل الثاني : مع الآية الكريمة : «إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ...» .

الفصل الأول

مع آيات كريمة

من سورة آل عمران

« إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ... »

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ . الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ. فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ . إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ . فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴾ [آل عمران : ٥٩-٦٣]

إن محور الخلاف مع اليهود والنصارى هو قضية التوحيد كما جاء بها جميع الأنبياء والمرسلين في دين واحد وعقيدة واحدة هي الإسلام ، حيث يقوم الدين كله على التوحيد الخالص لله دون أيّ شرك . وقد بيّنت رسالة النبيّ الخاتم محمد ﷺ هذه القضية ، قضية التوحيد الخالص لله سبحانه وتعالى ، أجمل بيان وأكمله . ولكن ظل اليهود والنصارى على ما هم عليه من الشرك الذي لم ينتج عندهم إلا من تحريف ما جاء به عيسى عليه السلام وموسى عليه السلام . فقد ادّعت اليهود أن عزيزاً ابن الله ، وادعت النصارى أن المسيح ابن الله:

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ . اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا

لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ . يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ . هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾

[التوبة : ٣٠-٣٣]

ولقد شرحنا في كتابنا « المسلمون بين العلمانية وحقوق الإنسان الوضعية » كيف ظهر هذا الشرك عند النصارى في قلب الإمبراطورية الرومانية وكيف أثرت الوثنية اليونانية وتدخل الإمبراطور قسطنطين مع النصارى ، حتى أقرّوا مبدأ التنليث ، وحتى أبادوا الفئة من النصارى التي رفضت ذلك وقاومته .

ولما جاء النبيّ الخاتم محمد ﷺ ، دعا الناس جميعاً إلى دين الله الحق ، دين الإسلام ورسالة التوحيد الخالص النقيّ . وقد آمن بعض من اليهود مثل عبد الله بن سلّام وغيره، وأصر آخرون على الشرك الذي كانوا عليه . ومضى رسول الله ﷺ يبلّغ رسالة ربه كما أمره الله، تبليغاً كاملاً لا نقص فيه :

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ [المائدة :٦٧]

فكتب رسول الله ﷺ رسالة إلى نصارى نجران يدعوهم إلى الإسلام . فجاء وفد منهم في ستين راكباً ، فيهم أربعة عشر رجلاً من أشرافهم يؤول أمرهم إليهم ، وأمر هؤلاء يؤول إلى ثلاثة منهم: العاقب ، والسيد ، وأبو حارثة بن علقمة ، وكلهم على النصرانية مع اختلاف أمرهم في عيسى عليه السلام . فمنهم من يقول : هو الله ، ومنهم من يقول : هو ولد الله ، ومنهم من يقول : هو ثالث ثلاثة، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً. فطلب إليهم رسول الله ﷺ أن يسلموا . فقالوا : أسلمنا ! فقال رسول الله ﷺ : إنكم لم تسلموا . ودار حوار حتى نزل قوله سبحانه وتعالى على رسوله محمد ﷺ في سورة

آل عمران في بضع وثمانين آية من أول سورة آل عمران ، ومن بينها الآيات الكريمة التي عرضناها في أول هذه الكلمة وهي موضع بحثنا .

هذه الآيات تردّ أولاً على الشبهة التي يثيرها أهل الكتاب : كيف يكون عيسى عليه السلام دون أب ؟! فلا بد من أب له . والله هو أبوه ، هذه هي الفتنة التي وقع فيها النصارى ، فَرَدَّ الله عليهم بأن مثله كمثل آدم عليه السلام خلقه الله دون أب بل من تراب، ثم قال له كن ! فيكون !

ولكن النصارى لم يقتنعوا ولم يؤمنوا بكلام الله . وليقطع الله الجدل في أمرٍ حق ، فطلب أن تجري المباهلة ، بأن يدعوا الأبناء والنساء وأنفسهم ثم يدعوا ويبتهلوا إلى الله ليجعل لعنة الله على الكاذبين .

وهنا تشاور النصارى فيما بينهم ، وقرروا أن لا يدخلوا في المباهلة ، فإن دعوة النبي إن تمّت ستستأصل شأفتهم . وخافوا من ذلك ، وكان بعضهم يوقن أن محمداً ﷺ هو النبيّ المرسل ، ولكن أبى أن يسلم لما كان فيه من وجاهة وتكريم بين النصارى بحكم منزلته . وبقوا على دينهم وغادروا إلى بلدهم دون أن يسلموا . فكان الحكم من الله عليهم:

« فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ »

إن هذه قصة تاريخ طويل ، وإصرار وعناد على انحراف وتحريف في رسالة موسى عليه السلام ورسالة عيسى عليه السلام. والقضية أيسر مما جعلوها فيه ، فلو فكروا بعقولهم لأدركوا مدى الخطأ والخلل في ادعاء أن لله ولداً ، وأنى يكون لله رب السموات والأرض وخالق كل شيء ورب كل شيء ولد .

وقد ردّ الله سبحانه وتعالى على أهل الكتاب دعواهم هذه ردّاً مفحماً حاسماً في

مواضع متعددة من كتاب الله ، عسى أن يؤمنوا إيماناً لا شرك فيه ، وتوحيداً خالصاً لله . ذلك لأن هذا الشرك كله أكبر إثم وجريمة في ميزان الله ، وقد يغفر الله الذنوب جميعها إلا أنه لا يغفر الشرك لمن مات عليه أبداً . ويظل أمر الله لعباده جميعاً ثابتاً بيّناً :

﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ... ﴾ [النساء :٣٦]

وكذلك قوله سبحانه وتعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ [النساء :٤٨]

وكذلك قوله سبحانه وتعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [النساء :١١٦]

وتؤكد آيات أخرى خطورة أمر الشرك ومخالفة التوحيد الخالص لله . ويظل القرآن الكريم يدعو أهل الكتاب إلى الدين الحق، دين الله ، دين الإسلام ، بكل أسلوب عسى أن يرجعوا عن ضلالهم ويدركوا خطورة أمر التوحيد عند الله وفي حياة الناس .

إن توحيد الله سبحانه وتعالى وعبادته عبادة صادقة كما أمر هي أكبر حقيقة في الكون والحياة . فلا يوجد في حياة البشرية كلها ولا في حياة كل إنسان قضية أعظم منها ولا أخطر ولا أكبر . (١)

نعم ! إنها الحقيقة الكبرى والقضية الكبرى التي يجب أن يلتفت إليها كل إنسان، قبل أن يطويه الموت . فالحياة الدنيا مهما طالت فإنها بضع مئات من السنين ، أما الدار الآخرة فهي خلود في الجنة ونعيمها أو في جهنم وجحيمها . ولذلك كانت رحمة الله بعباده

(١) يراجع كتاب : « الحقيقة الكبرى في الكون والحياة » للمؤلف .

كبيرة أن جعل الإيمان والتوحيد في فطرة الإنسان ، لا يشوِّهُها إلا الآثام والمظالم ، وجعل كذلك آياته الدالة على وحدانيته مبثوثة في السماء وفي الأرض وفي أنفسنا ، وكذلك بعث مع هذا كله الرسل والأنبياء حتى لا يكون للناس على الله حجّة بعد الرسل :

﴿ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء :١٦٥]

ولذلك ألحّ القرآن الكريم بدعوة أهل الكتاب إلى الإسلام، إلى التوحيد في آيات متعددة ، منها :

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران :٦٤]

دعوة واضحة صريحة إلى التوحيد ، إلى عدم الشرك ، ومن أجل تطييب نفوس أهل الكتاب ومساعدتهم على الرجوع عن الشرك وترك ما هم عليه من ذلك ، جعل الدعوة للمسلمين وهم : تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ، والكلمة السواء هي العدل والنَّصَف نستوي نحن وأنتم فيها ، ثم ركز على جوهر الدعوة والعقيدة :

ألاَّ نعبدَ إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، ثم يتابع القرآن الكريم دعوتهم ومناقشتهم في قضايا أخرى مرتبطة بالقضية الأولى :

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ . هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ . مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ . إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران : ٦٥ـ٦٨]

وكذلك قوله سبحانه وتعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ [النساء :٤٧]

وبالنسبة لإبراهيم عليه السلام ومحاجّتهم فيه ، فإن كل طائفة كانت تدّعي أن إبراهيم الخليل عليه السلام منهم .

فعن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه قال : اجتمعت نصارى نجران وأحبار يهود عند رسول الله ﷺ، فتنازعوا عنده ، فقال الأحبار : ما كان إبراهيم إلا يهوديّاً ، وقالت النصارى : ما كان إبراهيم إلا نصرانياً . فأنزل الله سبحانه وتعالى: « يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ .. » ! أي كيف تدعون أيها اليهود أنه كان يهوديّاً وقد كان زمانه قبل أن ينزل الله التوراة على موسى عليه السلام ، وكيف تدّعون أيها النصارى أنه كان نصرانياً وإنما حدثت النصرانية بعد زمنه بدهر ؟! ولذلك قال لهم سبحانه وتعالى : « ... أَفَلَا تَعْقِلُونَ » !

وهذه الآية كالتي سبقت في سورة البقرة : « وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا ... » ! وقد أنكر الله سبحانه وتعالى على اليهود والنصارى أن يحاجّوا فيما ليس لهم به علم . ثم أكد سبحانه وتعالى أن إبراهيم عليه السلام كان حنيفاً مسلماً ولم يكن من المشركين، وأن أولى الناس به الذين آمنوا به واتبعوه في زمنه ، والنبيّ محمد ﷺ ، والذين آمنوا وكانوا مسلمين ، وختم الله سبحانه وتعالى ذلك بقوله: « .. وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ» أي وليّ جميع المؤمنين الذين آمنوا برسله ورسالاتهم دون تحريف .(١)

(١) تفسير هذه الآيات في تفسير ابن كثير .

الفصل الثاني

مع آيات كريمة

من سورة آل عمران

« إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ... »

يقول الله سبحانه وتعالى :« **إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ. فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ . وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ** » [آل عمران :٥٥-٥٧]

والذي نحب أن نقف عنده في هذه الآيات الكريمة قوله سبحانه وتعالى :

« **... وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ...** »

وقبل أن نخوض في فهم هذه الآية الكريمة ، نودّ أن نرجع إلى الآيات قبل هذه الآيات في سورة آل عمران ، نودّ أن نرجع إلى الآيات (٥٢-٥٤) وهي :

« **فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ . رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ . وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ** »

[آل عمران :٥٢-٥٤]

ومحور فهم الآيات (٥٥-٥٧) من سورة آل عمران هو فهم قوله سبحانه وتعالى :
« **... وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ...** » . فرأى

بعضهم أن النصارى اليوم العلمانيين مثل أمريكا وأوروبا هم الذين اتبعوا عيسى عليه السلام ، وأنهم كما يبيّن الواقع اليوم فوق الذين كفروا . وهذا تصوّر خاطئ مخالف لمعنى الآيات الكريمة ومخالف للواقع .

« ... وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ ... » ! فمن هم الذين اتبعوا عيسى عليه السلام؟

لقد أوضحنا في الفصول السابقة أن عيسى عليه السلام رسول من عند الله بعثه الله بدين الله الواحد ، دين الإسلام ، الدين الواحد الذي بعث الله به جميع الأنبياء والمرسلين، فما يُعقل أبداً أن يبعث الله لعباده بديانات مختلفة يتصارعون عليها ، ثم يحاسبهم يوم القيامة . فالدين عند الله واحد هو الإسلام ، هو دين نوح وإبراهيم وإسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط ، ودين موسى وعيسى عليهم السلام جميعاً ، لا نفرّق بين أحد منهم، ونحن مسلمون أسلمنا لله ! وهو دين النبيّ الخاتم محمد ﷺ .

إن الله سبحانه وتعالى لا ينزل الناس بمظاهرهم فحسب أو بشاراتهم ، أو فيما يدّعون لأنفسهم ، إنما ينزل الله الناس على أساس من دينه الحق ، وعلى أساس التزامه التزاماً أميناً صادقاً .

والله سبحانه وتعالى يعلم ما بعث به رسله وأنبياءه ، ويعلم ما بعث به عيسى عليه السلام ، ويعلم من اتبع عيسى عليه السلام ومن لم يتبعه ، وبيّن لنا ذلك سبحانه وتعالى في قوله :

﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران :٥٢]

فقوله سبحانه وتعالى : « .. **وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ** ... » أي الذين آمنوا بالله الواحد الأحد ، وبالدين الحق الذي جاء به عيسى وهو دين الله الواحد الإسلام ، والتزموه التزاماً أميناً صادقاً . هؤلاء الذين آمنوا وأسلموا والتزموا دون أي شرك هم الذين اتبعوا

عيسى عليه السلام ، وهم الذين وعدهم الله بأن يظلوا فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة . إنهم ليس الذين يدّعون أنهم أتباع عيسى عليه السلام دون أن يؤمنوا برسالته ودينه ، ولا الذين حرّفوا رسالته ودينه ، ولا الذين قعدوا وتهاونوا .

إن الذين اتبعوا عيسى عليه السلام على مرّ الزمان هم الذين اتبعوا سائر الأنبياء والمرسلين الذين بعثوا بدين الإسلام الواحد والتزموه وصدق التزامهم .

وإلى هؤلاء مضى وعد الله الحق بالنصر والتأييد :

﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾

[غافر :٥١]

وكذلك :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾

[محمد :٧]

وكذلك :

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [النور :٥٥]

إنه وعد الله وعهده الحق أن ينصر الذين آمنوا والتزموا ونصروا الله ودينه . إنه وعد ماض مع الزمن ، حقٌّ صادق لا يتخلّف!

إن هذا الوعد والعهد لا يشمل أولئك الذين يحملون من الدين شعارات لا

تطبيق لها ، ولا الذين يبدّلون ويحرّفون في دين الله ، أولئك هم جميعاً ليسوا ممن اتبع عيسى عليه السلام ، مهما تسمّوا بأسماء يدَّعون أنها تقرّبهم من نبيِّ الله عيسى عليه السلام .

إن ما يحدث في واقع الحياة الدنيا ، وما يجري على سنن لله الثابتة ، حين يتغلّب فيها قوم على آخرين ، فهؤلاء لا يصدق عليهم القول إنهم الذين اتبعوا عيسى عليه السلام إلا إذا صدق إيمانهم وتوحيدهم لله ، وصدق التزامهم بما جاء به عيسى عليه السلام .

وأما ما تراه في واقعنا اليوم من أسماء تكاد تكون في غير محلها، نصارى لا يلتزمون ويهود لا يلتزمون ، ومسلمون لا يلتزمون ، ولكنهم يحملون الاسم ، وكلهم يعتبرون أنفسهم أبناء دينهم ، وتأخذهم العصبية لدينهم الذي لا يلتزمونه ، ويدخلون في صراع مع أصحاب الديانات الأخرى الذين لا يلتزمونها . فذلك ليس في ميزان الله اتباعاً لدينهم، ولا الوفاء بعهدهم ، ولا الصدق بإيمانهم الذي يدّعونه . فهؤلاء كلهم لا يمكن أن يكونوا ممن اتبع عيسى عليه السلام ، أو أي رسول آخر ، فلا يعقل أن يكونوا هم المعنيين بقوله سبحانه وتعالى :

« ... وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا ... »

وتبيّن لنا الآيات التي تأتي بعد تلك الآية أن هناك فريقين من الناس بالنسبة لأتباع عيسى عليه السلام . فالفريق الأول كما تبينه الآيات هو :

« فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ »

فهؤلاء لم يتبعوا عيسى عليه السلام ، ولم يتبعوا دين الله الحق ، ولكن قد يرفعون شعارات دون التزام لا تقدم عند الله شيئاً . فليسوا هم الذين يجعلهم الله فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة .

والفريق الثاني هو : «وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ » . هذا الفريق هو الذي آمن وصدق وعمل الصالحات واتبع عيسى عليه السلام . أما الفريق الأوّل فهو الذي كفر ولا يمكن أن يكون ممن اتبع عيسى عليه السلام .

وما يمكن أن نراه في الواقع من أناس يؤيدون آخرين ليس على أساس من رسالة الله ولا على أساس الإيمان ، أو يخاصمونهم ويقاتلونهم ، فهؤلاء ينطبق عليه قول سبحانه وتعالى :

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾

[الأنعام :١٢٩]

فنخلص من هذا العرض إلى أن الذين اتبعوا عيسى عليه السلام في قوله سبحانه وتعالى : « ... وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ... » هم المسلمون المؤمنون الصادقون الملتزمون برسالة الرسل والأنبياء التزاماً أميناً يرضاه الله سبحانه وتعالى .

والواقع في الزمن كله يشهد على صدق هذه الآية الكريمة ، فكلما ظهر الذين يُصدّقون بالدين الحق ويلتزمونه ، فإن الله سبحانه وتعالى ينصرهم ويجعلهم دائماً وأبداً فوق الذين كفروا . فإذا غاب هؤلاء الصادقون عن الساحة ، وبقي الظالمون وحدهم ، فإن الصراع يدور بين الظالمين أنفسهم ، كما في الآية السابقة من سورة الأنعام .



الباب السادس

الفصــل الأول : وقفة مع الديمقراطية .

الفصل الثاني : مع واقع المسلمين ومسؤولياتهم .

الفصل الأول
وقفة
مع الديمقراطية

دفعني إلى هذه الوقفة الصدمة التي صُدِمْتُها حين قرأت تقرير مؤسسة راند الذي يدور كله حول كيفية إِقامة إسلام حضاريّ ديمقراطي يلائم قيم الحضارة الغربية ، بالتخلّي عن نصوص القرآن الكريم وعن نصوص السنّة النبوية ، وعن أسس الإيمان والتوحيد ، أي بالتخلّي عن الإسلام الربّاني وباختراع إسلام بشريٍّ جديد . ثمّ يضع ملامح خطة عملية لتحقيق ذلك بتقسيم المسلمين أو المنتسبين إلى الإسلام إلى فئات متعدّدة : الأصوليون الذين يجب محاربتهم بلا هوادة ، الرجعيون الذين يمكن استغلالهم بإثارة العداء بينهم وبين الأصوليين ، التقدّميون المجددون الذين يمكن تشجيعهم ودعمهم بالإعلام والمال ، وكذلك المعتدلون والعلمانيون الذين يُدعمون بكل الوسائل لإبراز فكرهم الجديد ومؤلفاتهم ونشاطهم ... الخ .

لقد كانت الظاهرة البارزة في هذا التقرير هي الجرأة في محاربة الإسلام وإعلان الحرب عليه ، كل ذلك تحت شعار الديمقراطية التي يدعون إليها ، والتي خدعت الكثيرين من دعاة الإسلام وعلمائه، حتى أصبح هؤلاء المخدوعون هم الدعاة إلى ديمقراطية الغرب المجرمة نيابة عن أجهزة الغرب أو تابعين لها .

لقد كانت وقفتي الأولى مع الديمقراطية وإجرامها في كتابي: « الشورى لا الديمقراطية » قبل أكثر من ستٍّ وعشرين سنة في طبعته الأولى ، وقبل أكثر من عشر سنين في طبعته الخامسة . ولكن مدى صوتي شيء ومدى صوت مؤسسة راند وأعوانها شيء آخر .

لقد انتشرت دعاوى الغرب في العالم الإسلامي انتشاراً كبيراً بسبب الجهود

الضخمة ، والجهود المنظّمة والتخطيط الشيطاني الذي يبذله الغرب في معركته التي أصبحت مكشوفة ضد الإسلام ، والمسلمون ممزّقون غافلون !

وكانت كلمتي الثانية أو وقفتي الثانية في كتابي : « إسلام ربّاني لا إسلام ديمقراطي »، لتكون ردّاً مباشراً على تقرير مؤسسة راند .

ولا تزال كلمات برنادرشو عن الديمقراطية تمثل رأيَ من رأى الديمقراطية في الواقع ورأى ما فيها من خلل واضطراب وإفساد . وهذه هي كلماته :

« الديمقراطية هي السماح لكل المسافرين بقيادة القطار لتكون النتيجة المحتومة الاصطدام والكارثة »(١)

لقد بذلتْ أمريكا جهوداً ضخمة من أجل الدعوة إلى «الديمقراطية» ، جهوداً سياسيّة وإعلامية ومؤسساتية وعسكرية. ولقد حقَّقت اختراقات واضحة في صفوف المسلمين ، وكوّنت لها أتباعاً منهم يردِّدون نعيقها . ولكن مع كل هذا النشاط والنجاح النسبي الذي حققوه ، فإن الديمقراطية التي وعدوا بها لم يظهر لها وجود إلا في المجازر التي أقاموها ، والتدمير المروّع ، والإبادة الجماعية، كل ذلك في العالم الإسلامي . فإن كانت هذه هي الديمقراطية التي يدعون لها فليطبّقوها في ديارهم أولاً لنرى الأشلاء والتدمير والإبادة هناك عندهم .

إن كل وسائل الغرب في العالم الإسلامي تحاول إخفاء حقيقة المعركة التي يريدونها ويديرونها في أرض الإسلام . إن النية معقودة لديهم على تدمير العالم الإسلامي إن استطاعوا، مهما طال الزمن بهم ، ذلك لأنهم وجدوا أن الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ لا يمكن أن يسمح لهم بنهب الثروات وإفشاء الظلم في الأرض ، فلم يَبْق أمامهم بعد تاريخ

(١) كتاب : الشورى لا الديمقراطية ـ للكاتب ـ (ص:٩) ، عن جريدة الشرق الأوسط العدد ٤٤١٣، تاريخ ١١/ ٦/ ١٤١١هـ الموافق ٢٨/ ١٢/ ١٩٩٠م .

طويل وتجارب طويلة إلا أن يزيحوا هذا الإسلام من أمامهم ، ليمضوا في نهب ثروات الشعوب وسحقها والسيطرة عليها هنا وهناك .

مهما اختلفت قوى الغرب فيما بينها ، فإنها متحدة صفّاً واحداً في حربهم ضد الإسلام . ولا أدل على ذلك من أن مخططاتهم مجتمعة أدت إلى إسقاط الخلافة الإِسلامية، بعد أن أوهنوا العالم الإسلامي بالفتن والفساد ، والتمزيق ، ونشر الخمور ، والمخدرات، ونشر الفاحشة ، حتى أوهنوا القوى واخترقوا الصفوف ، وأوجدوا لهم أتباعاً من المسلمين يدينون بدينهم .

وهؤلاء الأَتْباع الذين سقطوا في شرك الديمقراطية وما تبعها من فتن وفساد ، قد بُحّتْ أَصواتهم بالصراخ بالديمقراطية والدعوة إليها نيابة عن أسيادهم ، وكَثُرتْ أقلامهم ومقالاتهم بالدفاع عنها والدعوة إليها ، تاركين الدعوة إلى الله ورسوله ، إلى الإسلام لتكون خطوة جانبية للدعاية فحسب ، ولكسب الدنيا . إلى هؤلاء وهؤلاء أوجه هذا السؤال : أبعد طول المدّة بالدعوة إلى الديمقراطية بكل وسائلهم وتبعيتهم ، ودعم أمريكا لهم كما جاء في تقرير مؤسسة راند، وكما جاء في كتاب نيكسون : « الفرصة الأخيرة » ، بعد هذا كله ماذا حقّقوا للمسلمين من خير أو نصر أو تقدم : هل حرّروا وأعادوا فلسطين ، هل نصروا أفغانستان ومنعوا تدميرها، هل بنوا للأمة قوة وأعدوا نهجاً وعدة تعز الأمة وتحمي حياضها ، هل منعوا تدمير العراق وتقسيمه شيعاً وأحزاباً متناحرة، هل نصروا الصومال، هل ... هل ... ؟! مازالت المآسي والفواجع تتزايد وتتوالى!

أساس الديمقراطية ومحورها عزل الدنيا عن الآخرة ، والانصراف كلية إلى الدنيا ، كأن الدار الآخرة هي مسؤولية الفرد وحده ليست مسؤولية الأمة كلها ، والإنسانية كلها، ويظل المجتمع بنظامه يدعو إلى الدنيا ونسيان الآخرة . وأساس الإسلام هو الدار الآخرة

وإيثارها على الدنيا ، لتكون هذه القضية هي القضية الرئيسة في حياة البشرية ، ولتكون قضية الإيمان بالله الذي لا إله إلا هو هي الحقيقة الكبرى في الكون كله والحياة كلها ، وفي حياة الإنسان والبشرية كلها ، وهي مسؤولية الأمة كلها لتصوغ نظامها ومواقفها من الإسلام !

إنه فرق كبير واسع بين الإسلام والديمقراطية ، فرق يجب أن لا يخفى على من يتلو كتاب الله ويدرس سنة محمد ﷺ ، ولا يجوز أن يغيب عن بال العلماء المسلمين والدعاة المسلمين الذين يدعو بعضهم إلى الديمقراطية وبعضهم إلى العلمانية !

إن الخسارة التي يُبتلى بها المسلمون بالدعوة إلى خدعة الديمقراطية هي خسارة الدنيا والآخرة . خسارة الدنيا لأن هذه الدعوة لم تحقّقْ أيّ عزّة أو كرامة أو تقدم أو نصر للمسلمين ، وخسارة الآخرة لأنها تنبذ الدار الآخرة التي هي الحقيقة الكبرى في الكون والحياة .

نادوا بالديمقراطية لإنقاذ فلسطين وجعلوا لها عُرْساً ، فضاعت فلسطين وضاعت كل جهود لإنقاذها ، وأصبحت الجهود شعارات تدوّي لا نهج فيها ولا خطة ، إلا الانقسامات والصراع على الدنيا ! ضاعت الأعراس وحلّت المآسي والأحزان ، نادوا بالديمقراطية لإصلاح العراق ، فدُمرت العراق وقُسّمت وتمزّقت شيعاً وأحزاباً ، وفتناً وصراعاً ! وقِسْ على ذلك سائر بقاع المسلمين كالصومال والسودان وغيرهما !

ومع كلّ هذه المآسي الممتدة ، والمصائب المتتالية ، والأخطار المتلاحقة فلا زالت « الديمقراطية » موضوع حديث قطاع واسع من الإعلام ، من الصحف والمجلات والندوات . وعلى الرغم من وضوح الفرق الواسع بين الديمقراطية بجميع معانيها والإسلام، فمازال هنالك من يحاول أن يزيد الخدعة ويموّه الحقائق بربط الديمقراطية بالشورى ، علماً أن الفرق بينهما أوسع من أن يُخفى كما بيّنّا في كتابنا : « الشورى لا الديمقراطية ».

ولكني أخشى أن يكون أهم عامل في تبعيّة بعض المسلمين للديمقراطية وللغرب بعامة ، هو عامل نفسيّ أكثر منه عامل علميٌّ وبحث وتدقيق . إنه الشعور العميق في النفوس بالتبعية للغرب ، وبالإحباط الشديد من واقع المسلمين الذي يزداد سوءاً ، حتى ظنّ بعضهم في وهمه أن الديمقراطية قد تُصلح واقع المسلمين ، فإذا هي تزيد المآسي والفتن والهوان والإذلال الساحق .

ولم يكن شعار الديمقراطية هو الشعار الوحيد الذي اخترق واقع المسلمين ، ولكن كان معه شعارات أُخرى كثيرة طغت في الساحة الإسلامية حتى تضاعف خطر كل واحد من هذه الشعارات: فشعار الاشتراكية ، والشيوعية ، والمادية التاريخية ، والمادية الجدلية، والقومية ، والعروبة ، والبعث العربي ، والوطنية والمواطنة ، والإقليمية ، والعائلية ، والحزبيّة بشعاراتها المختلفة، والحداثة ، والبنيوية ، والتفكيكية ، والأسلوبية، كلها تموج مع أنواع الفتن من خمور ومخدرات وزنا وفاحشة ، كل ذلك يتسلَّل في واقع المسلمين شيئاً فشَيْئاً حتى يطغى ويعم في بلاء واسع . وشعار الديمقراطية يغطّي ذلك كله ، وينطلق شعار حرّية الرأي دون أيّ ضوابط ، ليوفر المسوّغ لهذا الحشد الهائل من الشعارات المتزاحمة .

أصبحت الساحة الإسلامية تموج بالآراء المتفلّتة ، والمبادئ المتصارعة في أجواء من الجهل والعصبيات الجاهلية ، وأصبحت تمس صميم المجتمع الإسلامي بانتشار الفتاوى المتفلّتة غير المنضبطة!

بحثت طويلاً عن إيجابيات الديمقراطية ، بحثت منذ شبابي وشيخوختي فما وجدت لها إلا شعارات لا نهج لها ولا خطة ، سواء في العالم الإسلامي أم العالم الغربي نفسه .

ولكن رأيت أن لها صورتين عمليّتين : صورة في واقعنا الإسلامي تكشف عن جرائم العدوان والتدمير والإبادة في وحشيّة فاقت وحشية الحروب السابقة كلها، وصورة

في العالم الغربي نفسه تكشف عن عملية التخدير الواسعة التي تقوم بها الديمقراطية حيث تقدّم من خلال الإدارة والتنظيم فُتَاتَ الحقوق للناس تخدرهم بها، والأموال والثروات للأغنياء الرأسماليين الذين يعيشون بأجواء لا تسمح لهم بأن يشعروا بأنات الفقراء المسحوقين .

بحثتُ عن الديمقراطية فما وجدت شعاراتها إلا شعارات تدوي وتخدع ، شعارات العدالة والحرّية والمساواة والأمن ، حيث تظل شعارات لا رصيد لها في واقع الإنسان وفي جوهره ، إلا من حيث الزخارف والفتن ، التي تغطي حقيقة السياسة التي تسعى لها الديمقراطية الغربية ودعاتها الكبار ، السياسة التي تهدف إلى نهب الشعوب وإذلالها في تاريخ طويل جداً شهد المآسي بأقبح صورها ، ولا من حيث ما تقدّمه للناس من مذاهب ونظم!

كأنّ الناس قد نسوا التاريخ . فلنأخذ الحاضر والعهد القريب. ولنسأل أسئلة بسيطة: أين الديمقراطية التي جاء « بوش » بها إلى العراق لينشرها ؟ فما كانت نتيجتها إلا مليون قتيل عراقي، وتفتَّت العراق قطعاً، وأحزاباً وصراعاً هائلاً لا يتوقف . أين الديمقراطية في العراق؟!

أين الديمقراطية في أفغانستان ؟! تدمير ومئات آلاف الضحايا، وشراء ضمائر الناس بالدولارات ؟! أين هي أفغانستان؟! بقايا منها تكاد تبدو ! كأنها دمّرت تدميراً كاملاً !

أين الديمقراطية في أكبر عملية سرقة يشهدها التاريخ ، سرقة فلسطين من أهلها المسلمين وإعطائها لليهود ، وطرد شعبها منها ليُشتّت في الأرض !

لو تابعنا الأسئلة لوجدنا أن الديمقراطية ودعاتها لم تخرج عن كونها فساداً وظلماً في الأرض ، وحروباً لا تكاد تقف حتى تقوم حروب أخرى أهلكت الناس !

أين الديمقراطية ؟ أفي الفساد الذي نشرته وغرسته في النفوس، أفي شراء الضمائر بالدولارات ، وشراء الأتباع والعملاء الذين ماتت ضمائرهم ونفوسهم ، فأصبحوا كالأنعام بل هم أضلّ سبيلاً !

إنها محنة شديدة ، وابتلاء من الله سبحانه وتعالى يُمَحِّصُ الله بها عباده حتى تقوم الحجة يوم القيامة لهم أو عليهم .

إن جميع الشعارات التي يتغنّى بها عملاء الديمقراطية من حرية وعدالة ومساواة وغيرها ، هي في الديمقراطية شعارات فحسب . وأما في الإسلام فإنها قواعد ربانية ونهج رباني ، فما بال بعض المسلمين وبعض الدعاة تخلّوا عن حقائق الإسلام وعدالته وربّانيّته، وتحولوا إلى شعارات جوفاء للديمقراطية .

إذا كان في بعض بلاد المسلمين ظلم وعدم حرية وعدم أمن وعدم مساواة ، فإنها ظلم الإنسان لا علاقة للإسلام بذلك . ولكن المسلمين بدلاً من أن يجاهدوا لتطبيق الإسلام كله بعدالته الشاملة وحرّيته المنضبطة ، ومساواته الحقيقية ، ذهبوا إلى زيف الديمقراطية وخداعها ، الديمقراطية التي لم تفلح حتى الآن أن تحمي الحق والعدل والمساواة ، ولا أن تقيمها في الأرض ، بدلاً من صراع المصالح والأهواء الطاغي والسياسة الميكيافيلية !

فُتن الكثيرون في العالم بما تسير عليه الديمقراطية من « انتخابات » ! وأخذوا يقلّدونها شبراً بشبر وذراعاً بذراع . الانتخابات من حيث المبدأ عمل سليم إِذا خضعت لنظام حق . أما ما يطبّق في الديمقراطية فإنه يجعل الانتخابات صراعاً بين أحزاب تتنافس الدنيا ، وتقودها وتسيرها الشركات الكبرى بأموالها الواسعة لتغطي نفقات الدعاية لهذا أو ذاك مِمَّن تختاره الشركة . فلا يمكن أن يدخل ميدان الانتخابات إلا مَن توافر له هذا الدعم المخفي أو المعلن ! إنه النظام الرأسمالي الذي يجعل الأمور كلها خاضعة للرأسماليين، وتأتي الديمقراطية لتُغطّي هذا الخضوع وتحاول إخفاءه ، ولتقدّم الخدر للشعوب ، يصفّقون ويهتفون لما يدخل إليهم من دعاوة الرأسمالية والديمقراطية بأساليب ماكرة نافذة . وفي عالمنا العربي والإسلامي لا تدور انتخابات إلا يعقبها اتهامات وخلافات وصراع . وهذه العراق اليوم مثل واضح .

وانتشر مبدأ الانتخابات على النسق الغربي بكل آفاته وأمراضه، ولم يحدث أن أحداً من الشعوب أو الناس أقام انتخابات على أسس غير أسس الرأسمالية والديمقراطية .

ولكننا نعتب على أنفسنا نحن المسلمين ، حيث لم نقدّم للعالم صورة جديدة مشرقة للانتخابات ، صورة نابعة من منهاج الله ، من الكتاب والسنة ، تدفعها القلوب المؤمنة المليئة بالعلم من منهاج الله، تدفعها المواهب القوية ، لتبيّن للعالم أن منهاج الله صالح لكل زمان ومكان ، وأنه يظل يقدّم للناس الحلول والنظم والمشاريع المتجددة مع الأحداث وتطورها ! ومن المضحك المبكي انتشار قول أحد المفتونين بالغرب : « إننا نجد في الغرب إسلاماً ولكن لا نجد مسلمين .. » ! غفر الله لهم ! أين هو الإسلام الذي يجدونه في الغرب؟! أفي الظلم الذي ينشرونه في الأرض ، أم في الفاحشة ، أم في الخمور ، أم في انحلال الأسرة وتفكك روابطها :

﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾

[محمد :٢٢]

إن واقع المسلمين اليوم يكشف عن صورة مؤلمة حيث جَفّت المواهب ، وماتت القدرات ، حتى أصبح بعض المسلمين تبعاً يقلّد كلّ ناعق ! وأصبح معنى التجديد والتطور هو مفارقة الإسلام ، وعدم تطبيق شرع الله ، وأصبح هذا شعاراً يدوّي بين المسلمين حين عجزوا عن أن يقدّموا الصورة الربانيّة للتجديد والنمو والتطور . وأنى لهم أن يفعلوا هذا وقد ماتت القدرات والمواهب في صراعات حزبيّة تتنافس الدنيا ، وتكاد تنسى الآخرة .

إن الإسلام لا يقف عند حدود الأركان الخمسة : الشهادتان والشعائر من صلاة وصيام وحج وزكاة . فالأركان الخمسة هي الأساس المتين الذي تقوم عليه التكاليف الربانيّة ، ليصبح الإسلام بناءً متيناً يؤخذ كله معاً ، ولا يؤخذ بعضه ويترك بعضه . ففي حديث رسول الله ﷺ يرويه عنه ابن عمر رضي الله عنه :

« بُني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان »

[أخرجه أحمد والشيخان والترمذي وابن ماجه] [١]

فالحديث الشريف يبيّن لنا في نصّه : « **بُني الإسلام ...** »! فالإسلام بناء متين يتألف من أساس يقوم عليه باقي البناء . ولقد اكتفى كثير من المسلمين اليوم بالأساس أو ببعضه ، بالشعائر كلها أو بعضها ، ولا علاقة لهم بعد ذلك بسائر التكاليف الربانيَّة التي سيحاسَبون عليها بين يدي الله يوم القيامة ، ولقد بيّنا رأينا بمعنى التجديد في الإسلام في كتابنا :

« التجديد في الفكر الإسلامي مفهومه وضوابطه وغايته »

وذلك من خلال الكتاب والسنّة ، وقدمنا نماذج من التجديد في الفكر الإسلامي : في الدعوة الإسلامية ونهجها وأسسها ووسائلها وأهدافها ، وفي الأدب الملتزم بالإسلام، في التربية والبناء ، والسياسة، والواقع و.. ، وغير ذلك ، من خلال ما أسميناه : « نهج مدرسة لقاء المؤمنين وبناء الجيل المؤمن » ، الذي يقوم كله على أربعة مصادر : أسس الإيمان والتوحيد ، المنهاج الرباني ، مدرسة النبوة الخاتمة ، وعي الواقع من خلال منهاج الله .

ومن أهم التكاليف الربانية التي تقوم على الأركان الخمسة هي : تبليغ رسالة الله كما أنزلت على محمد ﷺ إلى الناس كافّة تبليغاً منهجياً ، وتعهدهم عليها تعهداً منهجياً حتى تكون كلمة الله هي العليا . وهذه من أهم المفارقات بين الإسلام الرباني وبين الديمقراطية والعلمانية وغيرهما .

تبليغ الدعوة كما أنزلت على محمد ﷺ تكليف رباني بالآيات والأحاديث :

﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾ [الأحزاب :٣٩]

(١) صحيح الجامع الصغير وزيادته : (٢٨٤٠) .

﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ** ﴾

[فصلت :٣٣]

هذا هو أمر الله الذي يتأكد بالآيات والأحاديث حتى لا يغفل عنها مسلم فيحاسَب على ذلك يوم القيامة . هذا هو أمر الله : « **وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ ...** » وليس ممن دعا إلى العلمانية والديمقراطية والحداثة وأمثالها . وكذلك : « **.. وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ** » تأكيد وإصرار على الموقف الحق .

شتان بين ما تدعو إليه الديمقراطية وما يدعو إليه الإسلام ، فعجباً لأمر بعض الدعاة كأنهم لا يقرأون هذه الآيات ولا يسمعونها ولا يتدبرونها .

ومن الأسس التي يجب أن نشير إليها هنا لبيان المفارقة الكبيرة بين الإسلام والديمقراطية ، ما نوجزه هنا بنقاط :

١. القضية الأولى والرئيسة في الإسلام هي صدق الإيمان بالله الواحد الأحد وصفاء التوحيد .

٢. إن للمسلم ، والمسلمين بعامة ، مسؤولية خطيرة ورئيسة ورسالة في الحياة جعلها الله عهداً وميثاقاً وأمانة وخلافة وعبادة ، وهي تبليغ رسالة الله كما أنزلت على محمد ﷺ للناس كافة وتعهدهم عليها .

٣. أن يرتبط المسلمون جميعاً برباط أخوة الإيمان التي أمر الله بها ليكونوا كلهم أمة مسلمة واحدة ، تعبد رباً واحداً ، ولها دين واحد هو الإسلام .

٤. الإسلام يفرض أن يؤثر المسلم الدار الآخرة على الدنيا ، ولا يشغله عن ذلك شاغل، ليوفي بالعهد والأمانة والعبادة والخلافة حتى تكون كلمة الله هي العليا .

مفارقة واضحة ، نُذَكِّر بها أنفسنا وإخواننا والمؤمنين جميعاً ، فإن الحساب يوم القيامة شديد !

الفصل الثاني
مع واقع المسلمين
ومسؤوليتهم

لم يُنزل الله سبحانه وتعالى كتابه الكريم على عبده محمد ﷺ لينذر به قومه خاصة ، كما أنزل التوراة والإنجيل وغيرهما من الكتب والصحف . فلقد كانت تلك الكتب منزّلة على الأنبياء والرسل السابقين ، حيث بَعَثَ الله كل نبيٍّ إلى قومه خاصة بدين واحد هو الإسلام ، وبعث محمداً ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين بدين الإسلام ، رسالة عامة للبشرية كلها ، للناس كلهم ، وكانت خاتمة الرسالات السماوية ، وكان محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين ، كما ذكرنا في فصُول سابقة :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

[سبأ :٢٨]

وكذلك :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء :١٠٧]

وكذلك :

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ [التكوير :٢٧]

﴿ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ [القلم :٥٢]

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ... ﴾

[الأعراف :١٥٨]

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴾ [الزمر :٤١]

فمن العهد المكّي أعلن القرآن الكريم أن هذه الرسالة وهذا الدين أنزله الله للناس كافة للعالمين ، لجميع العصور والأجيال ، لجميع الأمم والشعوب ، لجميع الأحوال والأماكن ، رسالةً من عند الله خاتمة مصدّقة لما بين يديها من الكتاب ومهيمنة عليه :

﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ . وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ. أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة :٤٨-٥٠]

يحسن الوقوف عند كل آية من الآيات التي عرضناها ، وعند كل كلمة ، وقوف تدبّر وخشوع وإيمان لندرك عظمة الأمانة التي وضعها الله في عنق المسلمين .

ونرى هنا أمر الله لرسوله ﷺ أن يحكم بما أنزل الله عليه ، وأن لا يتبع أهواء أهل الشرك واليهود وأمثالهم : فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ، وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ، وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ، ذلك لأن هذه الرسالة الخاتمة مهيمنة على ما سبقها، مصدقة لها ، جامعةً لكل ما أتَتْ به الرسالات السابقة كلُّها ، من دين واحد لله هو الإسلام ، دين جميع الأنبياء والمرسلين . إن مهمة الأمة المسلمة إنقاذ البشرية جميعها لمن أراد الله له الهداية والنجاة .

وكان أمر الله لعباده جميعاً نداءً جامعاً وأمراً حاسماً :

﴿ اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴾

[الأعراف :٣]

وما هو هذا الذي « مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ » ؟! إنه في الآية السابقة لهذه الآية :

﴿ كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ. اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴾

[الأعراف :٣]

والذي نريد أن نخلص إليه من هذا العرض ونؤكده هو أن هذه الرسالة التي بُعثَ بها محمد ﷺ هي الرسالة الخاتمة وهو النبيّ الخاتم ، وأن هذه الرسالةَ بُعِث بها محمد ﷺ للعالمين ، لجميع العصور والآجال والأماكن والأحوال ، إنها النور والهدى للبشرية كلها.

ولكن سنة الله في هذه الحياة الدنيا اقتضتْ لحكمة بالغة لله أن يكون في الأرض أهل ضلال وفتنة يَدْعُون إلى ضلالهم ، ابتلاءً من الله وتمحيصاً ، حتى تنكشّف النفوس وتقوم الحجة على كل فئة وكل إنسان في أي عصر .

نحن المسلمين اليوم مأمورون أن نتبع هذا الدين الذي أُنْزِل للناس كافّةً ، للعالمين. وهذا الدين العظيم ، دين الله ، دين جميع الرسل والأنبياء ، جاءنا بصورتـه الخاتمة مفصّلاً لنتدبّره ونلتزمه وندعو إليه الناس كافّة حتى تقوم الساعة .

إنّ أيّ انحراف عن هذا النهج هلاك شديد وفتنة بعيدة ، هلاك في الدنيا والآخرة، وفتنة ممتدة مع أجيال كثيرة !

ما هي العقبات اليوم أمـام المسلمين ليلتزموا هـذه الرسالة الخاتمة والدين العظيم؟!

إن واقع المسلمين اليوم يكشف أن التزام هذه الرسالة الخاتمة والدين العظيم هو التزام ضعيف ، قد تجده في أفراد متفرّقين ، أو ادّعاء في حركات أو أحزاب متفرّقة ممزّقة يصادم بعضها بعضاً ، فتكون بذلك قد هدّمت قاعدة صلبة أساسية في هذا الدين . وهي

القاعدة الربانية هي الإخوّة الإيمانية التي تربط المؤمنين جميعاً أمة واحدة في أُخوَّةٍ إيمانية ربّانية :

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ... ﴾ [الحجرات : ١٠]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن الرسول ﷺ قال : « **المسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يكذبه ولا يخذله ، كل المسلم على المسلم حرام ، عرضه وماله ودمه ، التقوى ها هنا.وأشار إلى القلب. بحسب امرئٍ من الشرّ أن يحقر أخاه المسلم** » [أخرجه الترمذي][(١)]

وكذلك عن ابن عمر رضي الله عنه عن الرسول ﷺ قال: «**المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن فرّج عن مسلم كُرْبة ، فرَّج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة**» [أحمد ، الشيخان][(٢)]

وكذلك عن ابن عمر رضي الله عنه عن الرسول ﷺ قال: «**المسلمون تتكافأ دماؤهم ، يسعى بذمّتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم يردُّ مُشِدُّهم على مُضْعَفِهم ، ومُسْرِعُهُم على قاعدهم ، لا يُقتَل مؤمنٌ بكافر ولا ذو عهد في عهده**» [أبو داود وابن عمر][(٣)]

وأحاديث أخرى كثيرة تنظم علاقة المسلم بالمسلم على أخوة إيمانيّة ربّانيّة وعلاقة المسلمين بغيرهم ، وتؤكِّدُ أن المسلمين أمة واحدة لا يحلّ تفرّقها ولا تمزّقها ، ورابطتها رابطة أخوّة الإيمان ، الأخوة التي فصّل الكتاب والسنة حقوقها ومسؤولياتها .

---

(١) صحيح الجامع الصغير وزيادته : الرقم : (٦٧٠٦) .
(٢) المصدر السابق : الرقم : (٦٧٠٧) .
(٣) المصدر السابق : الرقم : (٦٧١٢) .

فلو نظرنا إلى واقـع المسلمين اليوم ، فأين نجد هذه الأخوة الإيمانية الربانية ؟! إنا نجد بدلاً منها عصبيات جاهلية محرّمة ، أو أحزاباً متناحرة ، يبغض بعضها بعضاً، وأقطاراً ممزّقة حدوداً وأهواءً . والعجيب العجيب أن كثيراً منهم يقرأ القرآن والسنة ويقرأ الآيات والأحاديث عن أخوة الإيمان ، فكيف لم تحرّك بهم الآيات والأحاديث الخشية من الله وهم يقطعون أهم رابطة ربانيّة إيمانيّة بين المسلمين ، ويهدمون قاعدة من أهم قواعد الإسلام، حتى لم يعد من يسأل عن هذه الرابطة والقاعدة ، أو يحرص على بنائها وإقامتها، أو النصح والتذكير بها ! إنها مأساة حقيقية أدت إلى تمزّق المسلمين تمزّقاً رضوا به ، وحافظوا عليه مع ما يحمل من مخالفة صريحة لآيات محكمة وأحاديث صحيحة . وسيجد الجميع مع الأيام أنهم يخسرون خسارة كبرى بفقدهم هذه الرابطة الربانية الإيمانية .

ثمَّ تُبذل جهود كبيرة لإحلال شعارات ومصطلحات بديلة عن أُخوة الإيمان، مثل العصبيات العائلية ، والقومية ، والإقليمية ، والحزبيّة ، والقبلية ، والوطنية ، والعلمانية، والديمقراطية ، وغير ذلك كثير مما نُبْذَل له جهود كبيرة لغرسه بين المسلمين بدلاً من أخوة الإيمان .

إن قوى كبيرة عالمية ، ودولاً كبيرة ، ومؤسسات دولية تعمل كلها من خلال حربها على الإسلام على إلغاء أخوة الإيمان ، وإلغاء قواعد وأُسُسٍ أخرى من قواعد الإسلام وأسسه . وإنهم لا يسعون إلى ذلك ارتجالاً ولكن يجهدون في وضع خُطط ومناهج مدروسة لتنفيذ إجرامهم ، ويبنون مؤسسات ومراكز ، ويدرّبون أفراداً وجماعات على تنفيذ ما يسعون إليه .

ومن خلال ذلك كله تتعاون قوى كثيرة قد تختلف فيما بينها على مصالح مادّية مثل نهب ثروات الشعوب ، إلا أنهم يتَّفقون على محاربة الإسلام وتنسيق الجهود من أجل ذلك . فبالإضافة إلى الدول الكبرى التي تجتمع على ذلك كما اجتمعوا واتفقوا على إقامة دولة اليهود في فلسطين لتكون في حمايتهم جميعاً ولتكون قاعدة رئيسة لا يستغنون عنها

في حربهم ضد الإسلام ، فبالإضافة إلى هذه القوى من الدول الكبرى فإن هناك حركات ومؤسسات أخرى تعمل في نفس الاتجاه ، مثل الحركات التنصيرية والمؤسسات الماسونية المرتبطة باليهود والصهيونية . كل هذه الدول وهذه الحركات وهذه المؤسسات تعمل في اتجاه واحد في حربهم ضد الإسلام بأساليب علنيّة أو أساليب سرّية ، على تعاون تام بينهم، وتنسيق كامل لجهودهم .

ولا أدلّ على ذلك من الجهود التي بُذِلَتْ لإسقاط الخلافة الإسلامية ، ومن ثَمَّ تمزيق العالم الإسلامي إلى قطع ، بعد أن تعاونوا كلهم على نشر الأفكار المعادية للإسلام والمبادئ المخالفة من اشتراكية وشيوعية وبعثية ، بالإضافة إلى نشر الفواحش والخمور والانحلال الخلقي في ديار العالم الإسلامي مما مهّد لكل خطوة لاحقة .

وكان يقابل ذلك كله من المسلمين غفوة كبيرة وغفلة عميقة ، مما سهّل على أولئك أن يكتسبوا أَنصاراً لهم ومؤيدين وتابعين من المسلمين أنفسهم ، ينادون بندائهم، ويدعون بدعوتهم ، كأنهم انسلخوا من أمة الإسلام وقطعوا كل الوشائج معها . فهذا شيوعي وهذا اشتراكي وهذا قومي ، وهذا حزبي ، وهذا تابع لأمريكا ، وآخرون تابعون لإنكلترا، أو فرنسا ، إيطاليا ، أو ألمانيا ، فقد اكتسحت هذه القوى ساحة العالم الإسلامي اكتساحاً واسعاً قوياً مدمّراً وممزّقاً . ونَعُود ونقول يحدُث هذا كله والمسلمون في غفوة طاغية وغفلة عميقة وجهل واسع بدينهم ورسالتهم والأمانة التي وضعها الله في أعناقهم، والتي سيحاسَبون عليها بين يدي الله يوم القيامة .

إذا كان من أكبر الضربات التي وُجَهتْ إلى العالم الإسلامي هي تمزيق الرابطة الربانية الإيمانيّة ، رابطة أُخوة الإيمان والإسلام التي أمر الله بها ، فإن من أكبر الأخطاء التي ارتكبها المسلمون في خضمّ هذه الأجواء هو توقّف عملية الدعوة والبلاغ ، عملية البناء والتربية والتعهّد على أسس ربّانيّة ثابتة ، وعلى نهج مدروس وخُطط واعية .

لقد تحوّل العمل الإسلامي إلى محاولات تجميع للأنصار والمؤيدين على جهل بالإسلام ، وإلى أنشطة أخرى كثيرة استنفذت الطاقات والجهود على مدى واسع من الزمن ، وإلى شعارات تدوّي خالية من أي نهج أو تخطيط ، وإلى مظاهرات وتجمعات صاخبة تثير عاطفة الجماهير وحماستها حيناً ثم تهدأ وتختفي وإلى تنافس وصراع على الدنيا وزينتها وزخارفها تحت شعارات الإسلام ، تُؤكَل فيها الجهود وتذوي العزائم وينحرف النَّشَاط ، وتضطرب الأفكار والاتجاهات ، وتخرج الفتاوى من هنا وهناك ، فتاوى متضاربة يصادم بعضها بعضاً ، ويتيه الناس بين ذلك في جوٍّ أشبه ما يكون بالظلام الدامس .

ثم تغلب الحيرة في نفوس الصادقين ، نفوس المؤمنين الذين لا يمكن أن تخلو منهم أي فترة زمنية . فمهما اشتد الظلام وغلبت الفتن ، سيظل بقدر من الله مؤمنون صادقون ثابتون لا تأخذهم فتنة ، ولا ينحرف بهم سبيل ، يلتزمون كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، ويعون الواقع بكل مشكلاته من خلال منهاج الله في رؤية واعية ، حين يردّون كلّ واقع وكل أمر إلى منهاج الله ، إلى الكتاب والسنة ، ردّاً إيمانيّاً صادقاً واعياً ، لا يفتنهم هوى طاغٍ، ولا تحرفهم مصالح دنيوية تائرة ، إنهم ماضون على صراط مستقيم ، صابرون محتسبون ، خاشعون ، لا يُدَجّلون بآيات الله وأحاديث رسول ﷺ ، ولا يرفعون كلَّ يوم شعاراً جديداً سرعان ما يستبدلون به غيره ، في أسلوب يحسبونه « تكتيكاً » ! ثم تنحدر الدعوة الإسلامية العالمية لتصبح دعوة إقليمية مخنوقة .

إنّ الدعوة الإسلامية ، كما يبيّنها لنا الكتاب والسنة وسيرة الرسول ﷺ ومدرسته الخالدة ، لتعني الحرص على تبليغ رسالة الله إلى الناس كافّة كما أُنزِلَتْ على رسول الله ﷺ تبليغاً منهجياً ممتداً مع الزمن لا يتوقّف أبداً ، وتعهَّدهم عليها تعهّداً منهجياً ممتداً كذلك مع الزمن لا يتوقف أبداً ، لتظل الدعوة الإسلامية تقدّم للبشرية الأجيالَ المؤمنة الصادقة

الماضية في رسالتها حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، دعوة عالمية إلى الناس كافّة إلى البشرية كلها على نهج مدروس وخطة واعية .

إن الدعوة الإسلامية هي دعوة بناء وتعهّد ، إنها دعوة وتبليغ لرسالة الله ، إن هذا التعهد والبلاغ والبناء هو الخطوة الضرورية الأولى ، والأساس الذي لا بد منه ولا غناء عنه ، قبل الخوض في مراحل أخرى . إنها عمليّة بناء الأجيال المؤمنة الواعية القادرة على متابعة مراحل الدعوة على إيمان ، وعلم ، ووعي بالواقع ، وإعداد لكل ما تتطلبه كل خطوة وكل مرحلة ، حتى تستطيع الدعوة الإسلامية أن توفي بالأمانة الملقاة على عاتقها في مراحلها جميعها .

الدعوة الإسلامية دعوة ممتدة مع الزمن لا تتوقّف أبداً، تمضي على إيمان صادق صاف ، وإيثار الدار الآخرة على الدنيا ، وعلم حقٍّ صادق بمنهاج الله ، ووعي صادق للواقع من خلال ردّه إلى منهاج الله ردّاً أميناً صادقاً .

لذلك لا بد أن تكون الدعوة الإسلامية في الأرض دعوةً واحدةً وصفّاً واحداً ، على نهج ربّاني واحد ، تطرقِ أبواب الجنّة لا أبواب الدنيا ، وإنها تأخذ من الدنيا جميع أسباب القوة المادية اللازمة لنُصْرة دين الله ورسالته ، وللوصول إلى الدار الآخرة بصدق وسلامة ووفاء بالعهد والأمانة .

وإذا كان يجب على الدعوة الإسلامية في الأرض أن تكون دعوة واحدة فإن المسلمين يجب من أجل ذلك أن يكونوا أُمةً واحدةً وصفّاً واحداً كالبنيان المرصوص ، حتى تستطيع أن تبلّغ رسالة ربها وتوفي بالعهد والميثاق ، والأمانة والخلافة ، وعمارة الأرض بحضارة الإيمان . إنها مسؤوليات كبيرة وخطيرة ، وعليها يدور الحساب يوم القيامة .

لا خيار أمام المسلمين اليوم إلا أَن يَنْهضوا للوفاء بما استخلفهم الله به ، وبالعهد الذي أخذه منهم ، والأمانة التي حُمّلوها . ولا يبدو اليوم أن المسلمين وعَوا هذه المسؤوليات

وأعدوا أنفسهم لها ونهضوا إليها . إنها المعنى الحق لعبادة الله ، العبادة التي خلقنا الله لها:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾

[الذاريات :٥٦]

إنّ الله واحد لا شريك له ،

وإن الدين عند الله واحد هو الإسلام ، دين جميع الأنبياء والمرسلين ،

وإن المسلمين يجب أن يكونوا أمة واحدة لتصدق الله ،

وإن الدعوة الإسلامية يجب أن تكون إسلامية واحدة في الأرض كلها !

نعم ! هذه هي الصورة الربانية لحقيقة الدعوة الإسلامية : رب واحد لا إله إلا هو، ودين واحد هو الإسلام ، وأمة مسلمة واحدة ، ودعوة إسلامية واحدة .

إن واقع المسلمين اليوم لا يوفي بهذه الشروط الإيمانية ، وإنه لواجب المسلمين اليوم أن ينهضوا ليوفوا بما أمر الله ، ويوفوا بالعهد والميثاق ، والأمانة والخلافة والعبادة ، ليكونوا أمة واحدة ، ودعوة واحدة ، وصفّاً واحداً كالبنيان المرصوص .

ونحن إذ نقدم للمسلمين جميعاً أفراداً وجماعات ، دعاة وعلماء ، « نهج مدرسة لقاء المؤمنين وبناء الجيل المؤمن » ، فإننا نهدف إلى أن نساهم ونعين من أجل النهوض إلى بناء الأمة المسلمة الواحدة ، والدعوة الإسلامية الواحدة والصف الواحد .

إننا ندعو إلى نهج بعيد كل البعد من الحزبيّة والتصور الحزبي، وبعيد كل البعد عن العمل السرّي ، ولكنها كلمة واضحة صريحة نابعة من مصادرها الأربعة : أسس الإيمان والتوحيد ، منهاج الله ، مدرسة النبوة الخاتمة ، وعي الواقع من خلال منهاج الله .

إنها كلمة موجّهة إلى كل مسلم ، فكلنا محاسَبون بين يدي الله يوم القيامة ، فإننا ننصح للمسلمين بما نؤمن أنه حق من عند الله، مثبّتٌ بالآيات والأحاديث .

إننا نقدّم هذا النهج وهذه المدرسة ليكونا أساس لقاء المؤمنين وأساس بناء الأجيال المؤمنة على نهج محدد وخطة مدروسة نابعة من مصادرها الأربعة كما ذكرنا .

وفي هذا الجو ربما يسأل بعضهم أسئلة يدفعها الواقع المظلم الذي يعيش فيه . فربما سأل سائل هل نحن بضعفنا وعدم توافر القوة المالية والمادية قادرون على أن نوحد صفوف المسلمين اليوم ؟!

فنقول أولاً لسنا نحن وحدنا الذين يقيمون وحدة المسلمين، ونحن في ضعْفٍ والمسلمون ممزّقون . إننا نحن ننفّذ أمر الله سبحانه وتعالى : بأن ننصح وندعو ونبلغ ، والله يهدي من يشاء ، ولسنا مسؤولين عن النتائج إلا إذا قصرنا أو أخطأنا أو لم نلتزم ! وكذلك لما قام رسول الله ﷺ كانت الأرض كلها تموج بالأعداء سواء في قريش أو الرومان أو الفرس أو غير ذلك . ولكنه مضى ينفذّ أمر الله ، ونحن نقتدي بأسوتنا النبي الخاتم محمد ﷺ ، وأما النتائج فمرهونة بأمر الله وقضائه وقدره وحكمة بالغة له . وكذلك إذا لم نقمْ بذلك فإننا آثمون مقصرون ومحاسَبون .

وأخيراً فإننا إن صدقنا الله في البلاغ والدعوة والبناء والتربية على ضوء النهج الذي ندعو إليه ، فإن الله سبحانه وتعالى ييسِّر من أسباب القوة ما يشاء . ونحن نصبر ونحتسب ونوفي بالعهد والأمانة حتى نلقى الله .

ويسأل آخر : في خضم الواقع الخالي المظلم ، وانتشار الأفكار والمعتقدات المختلفة فما هي القوة التي تستطيع من خلالها مجابهة هذا الظلام ، هل بقوة الفكر ، أما بماذا ؟!

أولاً ليست المهمة في صورتها الحقيقية الأولى مجابهة هذا الظلام مجابهة عداء . المجابهة هي أولاً الدعوة والبلاغ ، والإعداد والبناء ، والصبر على ما يقضي به الله . أما القوة التي نجابه بها هذا الظلام هذه المجابهة التي أوضحنا فهي قوة الإيمان والعلم بمنهاج الله ووعي الواقع من خلال منهاج الله . إن القوة الحقيقية أننا نؤمن بالله إيماناً واعياً نابعاً من فطرتنا

التي فطرنا عليها ومن منهاج الله ، وأننا نؤمن أننا على حق لا لبس فيه ، وأننا نؤثر الدار الآخرة على الدنيا ، فلها نعمل ونصبر ونحتسب ، ونطمع بالأجر والثواب من عند الله كما وعد سبحانه وتعالى . أما كلمة « بقوة الفكر » ، فهي كلمة مضلّلة ، وخير منها « قوة الإيمان» النابع من منهاج الله ، وقوة الحق الذي ندعو إليه ، أو الفكر الإيماني النابع من منهاج الله .

وسؤال آخر يقول : كل شخص له إبداعاته وإتقانه لبعض الأمور ، فكيف يمكن أن نستفيد من هذه الطاقات الموجودة لدى الأشخاص ، ولماذا لا نترك الحرّية لكل شخص أن يقدّم للمدرسة من خلال إتقانه وإبداعاته ضمن نهج المدرسة .

ونقول إجابة على ذلك إن نهج مدرسة لقاء المؤمنين وبناء الجيل المؤمن يفتح أوسع المجال ليقدّم المسلم إبداعاته وإتقانه في صورة منهجيّة غير فوضوية ، ليستفاد من هذه الإبداعات ، ولتكون كلها خالصة لوجه الله ، عبادة له ، وليس للدنيا وحُبّ السمعة والأثرة . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن هناك تكاليف ربانية أساسية وضحها نهج المدرسة ، فلا بد من الوفاء بها وفاءً تقوم عليه الإبداعات والإتقان ، ليصبح عمل المسلم كله وحدة واحدة يطلب بها رضاء الله والجنة ، لا تصلح الإبداعات إذا لم تقم أولاً على الوفاء بالعهد مع الله والتكاليف الربانية .

وسؤال آخر : القاعدة الأساسية في هذه المدرسة هي تبليغ رسالة الله كما أُنزِلتْ على محمد ﷺ للناس كافّة وتعهّدهم عليها ، فإذا كنا نحن اليوم لم نطبق هذه القاعدة بالشكل المطلوب ، فكيف يمكن تطبيق ذلك مع الأمة ؟!

ونقول إن تقصيرنا اليوم ، أو تقصير بعضنا ليس مسوّغاً لأن نتخلى عن أمر الله وتكليفه . فعسى الله أن يهيئ مع الصبر والثبات والمضيّ بالتبليغ من هو أقدر وأنشط، والأمر كله بيد الله يقضي ما يشاء ، وعلينا أن نمضي في تنفيذ ما يأمرنا به الله صابرين

محتسبين حتى يقضي الله ما يشاء ، فله الأمر من قبل ومن بعد . يجب أن نؤمن أننا نعبد الله العبادة التي أمرنا بها ، وأن هذا الأمر تكليف من عند الله ننهض إليه ، لا يحل لنا النكوص عنه . وإنه أمر من عند الله لكل مسلم مكلّف قدر وسعه الصادق وللأمة كلها . وإن كان يوجد اليوم بعض المقصّرين فهناك المبدعون المجيدون الملتزمون أيضاً .

هذا نموذج من الأسئلة التي تدور في أذهان كثير من المسلمين . والمسلمون في هذه الأحوال السيئة المظلمة يتساءلون ، وحقَّ لهم أن يتساءلوا ، ومهما تساءلوا فإنهم يجدون الإجابة الوافية عن كل ما يتساءلون عنه متوافرة في الكتاب والسنّة .

وبالإضافة لهذا كله ، فإنه من مظاهر الوهن والضعف في واقع المسلمين اليوم ومن عشرات السنين التي خلت ، ومن زمن أطول أو أقصر ، وقوف المسلمين أمام الواقع ضعفاء لا يكادون يجدون مخرجاً إلا بالتبعيّة للغرب !

لقد قلنا في أول هذا الفصل أن الله أنزل كتابه المبين للعالمين على مدى العصور والأجيال ، ولجميع الشعوب والظروف والأحوال، وقد جاء هذا البيان في كتاب الله في العهد المكي والدعوة ضعيفة لما تقوى بعد .

ونؤكد هنا ثانية وثالثة ورابعة أن منهاج الله ـ قرآناً وسنةً ولغة عربية ـ صالح كل الصلاح لكل زمان ومكان وحال إلى أن تقوم الساعة . إنه يمد المسلمين بكل الحلول للمشكلات التي تجابههم في الواقع . ولكن الشرط الرئيس حتى يمدَّهم منهاج الله بالحلول المناسبة لما يعترضهم من مشكلات أن يؤمنوا أولاً بأن هذا هو الحق من عند الله ، وأَنه حق لكل زمان ومكان . والشرط الثاني أن يدرسوا منهاج الله ويتفقّهوا فيه ويعلِمّوه، ليكون في قلوبهم علماً حقّاً صادقاً.

فإذا توافر الإيمان الصادق والتوحيد الصافي في القلوب ، وتوافر العلم الصادق بمنهاج الله ـ قرآناً وسنة ولغةً عربية ـ فإنهم يستطيعون أن يوجدوا الحلول الصادقة

لمشكلات الواقع من منهاج الله ، إذا ردّوا الواقع إلى منهاج الله ردّاً أميناً . وإنهم بهذا الإيمان وهذا العلم ووعي الواقع من خلال منهاج الله يستطيعون أن يدركوا ما هو حقٌّ لهم ومباح أن يستفيدوا منه ومن تجارب الأمم والشعوب دون أن يكون في ذلك تبعيّة وتقليد أعمى أو تنازل عن دين أو مساومات على حق . ونضرب على ذلك مثالاً واحداً . فقد أخذ المسلمون عن الغرب العلماني الانتخابات والبرلمانات في تقليد وتبعية ، دون أن يردّوا ذلك إلى منهاج الله . ولو استعرضنا نتائج هذه التجربة في واقع المسلمين لوجدنا أنها تجربة فاشلة ، فما من انتخابات تمت إلا تلاها الاتهامات بالتزوير ، ثم الشقاق والصراع !

مبدأ الانتخابات لبعض الأمر مبدأ يُقرُّه الإسلام بشروطه . والشرط الأول أن يكون الذين يمارسون ذلك عالمين بدينهم مؤمنين صادقين ، قادرين على ردّ الواقع إلى منهاج الله . فيصبح بذلك لدى « الناخب » المؤمن ميزان ربّاني دقيق يعينُه على صدق الاختيار وأمانة الممارسة ، وتكون الأمة كلها مسلمة مؤمنة ملتزمة ، فلا يكون بعضها شيوعياً ، وبعضها قومياً ، وبعضها علمانياً ، وآخرون ديمقراطيين، أو شعوبيين ، أو على أفكار ومذاهب شتى . هذه الأمة على هذه الصورة لا يمكن لها أن تمارس الانتخابات على صورة إيمانية ربانيّة، وقد اضطربت الموازين لديهم واختلّت ، أَو لم يعد لديهم أَي ميزان إيمانيٍّ إلا الهوى والمصالح المادية ، وشراء النفوس والأصوات بالمال والإغراءات المتعدّدة. فالمسلمون قادرون أن يضعوا نهجاً إيمانياً للانتخابات نابعاً من منهاج الله .

ونعود لنؤكد أن تبليغ رسالة الله إلى الناس كافة كما أُنزلت على محمد ﷺ تبليغاً منهجيّاً ، وتعهّدهم عليها تعهّداً منهجيّاً ، يجب أن يكونا دائمين لا يتوقفان أبداً ، وفاء بالأمانة التي وضعها الله في عنق المسلمين .

والدعوة الإسلامية في الأرض من تبليغ منهجي وتعهّد منهجي أساس لكل نشاط بعد ذلك . فإذا اختل أمر الدعوة فإن سائر الأمور تختل وتضطرب . إن مهمة الدعوة

الإسلامية في الأرض هي إخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله الواحد الذي لا إله إلا هو . إنها إنقاذ الناس من نار جهنم ودفعهم إلى الجنة ، وإنها أمانة ومسؤولية خطيرة جداً .

أرأيت لو أنك كنتَ تسير في طريق أنت تعرفه كله ، وتعرف أن فيه أمامك على مسافةٍ هُوَّةً كبيرةً تلتهب ناراً ، وكان أمامك رجل آخر يسير على الدرب نفسه ولكنه يجهل الدرب ويجهل أمر الهوّة والنار الملتهبة . فلو استمرّ في سيرة لوقع حتماً في النار وهلك ، أفكنت تاركه يسير حتى يقع في النار ويهلك ، أم أنك تسرع لتُحذِّرَه وتنذرَه وتبيّنَ له الخطر الذي يتهدَّده ، حتى يعود ويبتعد عن الهلاك ؟! إنك وأنت الرجل الصالح تسرع إليه لتنقذه وتدعوه بالحسنى والحكمة والموعظة الحسنة ، فإن استجاب لك نجا وكسبت الأجر العظيم ، وإن أبى واستمر في غيه فلعلك تدعو غيرك من الناس ليعينوك على إرجاعه بالقوة إن لم تكن أنت وحدك قادراً على ذلك . المهم أن تنقذه. إنها مهمتك أيها المسلم ، أيها الداعية أن تنقذ الناس من نار جهنم ، إما بالدعوة المباشرة والتعهد ، أو الجهاد والقتال مع الدعوة .

أنقذوا أنفسكم أيها المسلمون وأنقذوا الناس من هلاك محتم بالتزامكم المنهاج الربّاني إيماناً صافياً وعلماً صادقاً وممارسة إيمانيّة أمينة ، وردّ الواقع إلى منهاج الله .

إن البشرية كلها بحاجة اليوم إلى الدعوة الإسلامية الصادقة لتعرض الإسلام كما أنزل من عند الله ، وضوحاً وصفاءً وصدقاً ، ليراه الناس متمثّلا في الكلمة والممارسة والمواقف .

فهرس كتاب
إن الدين
عند الله الإسلام
دين جميع الأنبياء والرسل

الموضوع	الصفحة

مؤلفات الدكتور/عدنان علي رضا محمد النحوي

الرقم	اسم الكتاب	الطبعة
أولاً : كتب توجز النهج العام والنظرية العامة للدعوة الإسلامية :		
١	موجز النهج العام للدعوة الإسلامية وأساس لقاء المؤمنين	ط١
٢	موجز النظرية العامة للدعوة الإسلامية والنهج العام وأساس لقاء المؤمنين	ط٢
٣	أضواء على طريق النجاة	ط١
٤	النهج والممارسة الإيمانية في الدعوة الإسلامية	ط٤
٥	كيف تلتقي الجماعات الإسلامية	ط١
٦	الموجز الميسَّر عن مدرسة لقاء المؤمنين وبناء الجيل المؤمن	ط٢
ثانياً : كتب تفصل النهج العام والنظرية العامة في الدعوة الإسلامية :		
٧	دور المنهاج الرباني في الدعوة الإسلامية	ط٦
٨	منهج المؤمن بين العلم والتطبيق	ط٥
٩	النظرية العامة للدعوة الإسلامية نهج الدعوة وخطة التربية والبناء	ط٣
١٠	منهج لقاء المؤمنين	ط٢
١١	لقاء المؤمنين . أسسه وقواعده . الجزء الأول	ط٥
١٢	لقاء المؤمنين . الأهداف . الجزء الثاني	ط٤
١٣	العهد والبيعة وواقعنا المعاصر	ط٣
١٤	قبسات من الكتاب والسنة تدبر وظلال . الجزء الأول	ط٢
١٥	قبسات من الكتاب والسنة تدبر وظلال . الجزء الثاني	ط١
١٦	قبسات من الكتاب والسنة تدبر وظلال . الجزء الثالث	ط١
١٧	الفقه امتداده وشموله في الإسلام بين المنهاج الرباني والواقع	ط١
١٨	الإسلام أركان وبناء . تذكير ونصح	ط١
١٩	فقه الإدارة الإيمانية في الدعوة الإسلامية	ط١
٢٠	المسؤولية الفردية في الإسلام : أسسها وتكاليفها وتميزها	ط١
٢١	التربية في الإسلام النظرية والمنهج	ط١

الرقم	اسم الكتاب	الطبعة
٢٢	النهج الإيماني للتفكير	ط١
٢٣	عهد الله والعهد مع الله بين التفلت والالتزام	ط١
٢٤	حتى نتدبر منهاج الله	ط١
٢٥	حتى نغير ما بأنفسنا	ط١
٢٦	لؤلؤة الإيمان فريضة طلب العلم ومسئولية المسلم الذاتية (المنهاج الفردي)	ط٢
٢٧	النهج في موضوعاته ومصطلحاته	ط١
٢٨	الموازنة وممارستها الإيمانية	ط١
٢٩	الاختلاف بين الوفاق والشقاق	ط١
٣٠	مواجهة المشكلات والأخطاء والتقصير	ط١
٣١	مصارحة ونصيحة : مراجعات دعوية ووقفات إيمانية	ط١
٣٢	لتكون كلمة الله هي العليا	ط١
٣٣	التجديد في الفكر الإسلامي مفهومه وضوابطه وغايته	ط١
٣٤	إيثار الدار الآخر على الدنيا في قبسات من الكتاب والسنة	ط١
٣٥	إسلام رباني لا إسلام ديمقراطي	ط١
٣٦	إن الدين عندالله الإسلام دين جميع الأنبياء والرسل	ط١
ثالثاً :كتب تعرض أهم قضايا التوحيد في واقعنا المعاصر والنهج للدعوة والبلاغ والبيان:		
٣٧	التوحيد وواقعنا المعاصر	ط٣
٣٨	الحقيقة الكبرى في الكون والحياة ذ	ط١
٣٩	النية في الإسلام وبعدها الإنساني	ط١
٤٠	النية إشراقة في النفس وجمال	ط١
٤١	الولاء بين منهاج الله والواقع	ط٤
٤٢	الحوافز الإيمانية بين المبادرة والالتزام	ط٤
٤٣	الخشـوع	ط٢
٤٤	النبي العظيم والرحمة المهداة محمد ﷺ	ط١
رابعاً: كتب تدرس بعض القضايا الفكرية في الواقع الإسلامي وأهم أحداثه وتعتبر الملاحم جزءاً من دراسة الواقع:		
٤٥	الشورى وممارستها الإيمانية	ط ٤
٤٦	الشورى لا الديمقراطية	ط٥

الرقم	اســــم الكتــــاب	الطبعة
٤٧	الصحوة الإسلامية إلى أين ؟	ط٣
٤٨	التعامل مع مجتمع غير مسلم من خلال الانتماء الصادق إلى الإسلام	ط١
٤٩	واقع المسلمين أمراض وعلاج	ط٢
٥٠	بناء الأمة المسلمة الواحدة والنظرية العامة للدعوة الإسلامية	ط١
٥١	المسلمون بين العلمانية وحقوق الإنسان الوضعية	ط١
٥٢	المرأة بين نهجين الإسلام أو العلمانية	ط١
٥٣	على أبواب القدس	ط٣
٥٤	فلسطين بين المنهاج الرباني والواقع	ط٥
٥٥	فلسطين واللعبة الماكرة !	ط١
٥٦	عبد الله عزام أحداث ومواقف	ط٣
٥٧	حوار الأديان. دعوة أم تقارب أم تنازل	ط١
٥٨	الانحـراف	ط١
٥٩	كيف ضيَعَت الأمانة التي خُلقنا للوفاء بها !؟	ط٢
٦٠	حرية الرأي في الميدان	ط١
٦١	هذا هو الصراط المستقيم فاتبعوه !	ط١
٦٢	المسلمون بين الواقع والأمل	ط١
٦٣	تمزق العمل الإسلامي بين ضجيج الشعارات واضطراب الخطوات	ط١
٦٤	الربا وخطره في حياة الإنسان	ط١
٦٥	الدعوة الإسلامية بين الأحزاب والجماعات	ط١
٦٦	هوان المسلمين أمام الواقع وتعدد المواقف والاتجاهات والاجتهادات	ط١
٦٧	العولمة والإسلام	ط١
٦٨	الشريعة والحياة المعاصرة	ط١
٦٩	فقه الاستشهاد في سبيل الله	ط١
٧٠	المرأة والأسرة المسلمة والتحديات في واقعنا المعاصر	ط١
٧١	الإسلام والحرية وحرية المعتقد	ط١
٧٢	المرأة ومساواتها بالرجل ونزولها إلى العمل السياسي	ط١
٧٣	وقفات مع كتاب المسلم مواطناً في أوروبا	ط١

الرقم	اســـم الكتـــاب	الطبعة
٧٤	الإنسان بين الشريعة الإسلامية والاتفاقات الدولية	ط١
٧٥	الأمة المسلمة بين الدعوة الإسلامية والأدب	ط١
٧٦	أين معركة ؟! أين ساحة الجهاد؟! ماذا يجري في فلسطين؟	ط١
٧٧	الأزمة الفلسطينية الداخلية وأبعادها على قضية فلسطين	ط١
٧٨	مع مصطلح (الاختلاط)	ط١
٧٩	رسالة المسجد الأقصى للمسلمين نجوى وشكوى وحنين	ط١
٨٠	فلسطين وصلاح الدين	ط١
٨١	على طريق التحرير وبشائر النصر	ط١
خامساً : كتب تدرس الأدب الملتزم بالإسلام والنقد (النصح) الأدبي ، وترد على المذاهب الأخرى:		
٨٢	الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته	ط٤
٨٣	الأدب الإسلامي في موضوعاته ومصطلحاته	ط١
٨٤	النقد الأدبي المعاصر بين الهدم والبناء	ط١
٨٥	أدب الوصايا والمواعظ في الإسلام منزلته ونهجه وخصائصه الإيمانية والفنية	ط١
٨٦	أدب الأطفال وأثره في تربيتهم العقدية الصحيحة	ط١
٨٧	التجديد في الشعر بين الإبداع والتقليد والانحراف	ط١
٨٨	لماذا اللغة العربية ؟	ط١
٨٩	الحداثة في منظور إيماني	ط٥
٩٠	تقويم نظرية الحداثة وموقف الأدب الإسلامي منها	ط٢
٩١	الأسلوب والأسلوبية بين العلمانية والأدب الملتزم بالإسلام	ط١
٩٢	الموجز في دراسة الأسلوب والأسلوبية	ط١
٩٣	الشعر المتفلّت بين النثر والتفعيلة وخطره	ط١
٩٤	تجربتي الشعرية وامتدادها	ط١
٩٥	قراءة في قصيدة مهرجان القصيد	ط١
٩٦	الملحمة بين التصور الإيماني والتصور الوثني	ط١
٩٧	اللغة العربية بين مكر الأعداء وجفاء الأبناء	ط١
٩٨	أهم الأخطاء الشائعة اليوم في اللغة العربية	ط٢
سادساً : الدواوين الشعرية :		
٩٩	ديوان الأرض المباركة	ط٦
١٠٠	ديوان موكب النور	ط٤

الرقم	اسم الكتاب	الطبعة
١٠١	ديوان جراح على الدرب	ط٣
١٠٢	ديوان مهرجان القصيد	ط٢
١٠٣	ديوان عبر و عبرات	ط١
١٠٤	ديوان حُرقَة الألم وإشراقة الأمل	ط١
١٠٥	درّة الأقصى	ط١
١٠٦	أكثروا ذكر هاذم اللذات. أب يرثي ابنه	ط١
١٠٧	ديوان أين الجنى ؟!	ط١
سابعاً : الملاحم الشعرية وتعتبر جزءاً من دراسة الواقع وأحداثه :		
١٠٨	ملحمة فلسطين	ط٥
١٠٩	ملحمة الأقصى	ط٢
١١٠	ملحمة الجهاد الأفغاني	ط٣
١١١	ملحمة البوسنة والهرسك	ط٢
١١٢	ملحمة الإسلام في الهند	ط٢
١١٣	ملحمة القسطنطينية	ط٢
١١٤	ملحمة الغرباء	ط٣
١١٥	ملحمة أرض الرسالات	ط١
١١٦	ملحمة الإسلام من فلسطين إلى لقاء المؤمنين	ط١
١١٧	لهفي على بغداد	ط١
١١٨	ملحمة سجن أبو غريب ورفح	ط١
١١٩	ملحمة أفغانستان	ط١
١٢٠	ملحمة الطوفان (تسونامي)	ط١
١٢١	ملحمة التاريخ ! قيام الدول الإسلامية وسقوطها	ط١
١٢٢	ملحمة غزّة مجزرة بين قسوة الحصار ولهيب النار وهول الدّمار	ط١
ثامناً : كتب في الدعوة الإسلامية باللغة الإنجليزية :		
١٢٣	خطة الداعية : The Caller's Plan	ط٢
تاسعاً : كتب في علوم أخرى :		
١٢٤	دراسة الموجات الألكترومغناطيسية (باللغة الإنجليزية)	ط١

الرقم	اسـم الكتـاب	الطبعة
عاشراً : كتب ترجمت إلى لغات أخرى :		
١٢٥	لقاء المؤمنين . الجزء الأول (ترجم إلى اللغة التركية)	ط١
١٢٦	فلسطين بين المنهاج الرباني والواقع (ترجم إلى اللغة التركية)	ط١
١٢٧	فلسطين بين المنهاج الرباني والواقع (ترجم إلى اللغة الإنجليزية)	ط١
١٢٨	لماذا اللغة العربية (ترجم إلى اللغة الأوردية)	ط١

الرقم	اسـم المادة	البيان
أحد عشر : الصوتيات والمرئيات :		
١	أضواء على طريق النجاة	فيديو وكاسيت
٢	لمحة عن واقع المسلمين أمراض وعلاج	فيديو وكاسيت
٣	الإسلام أركان وبناء . تذكير ونصح	فيديو وكاسيت
٤	الأسلوب والأسلوبية	فيديو وكاسيت
٥	درة الأقصى	فيديو وكاسيت
٦	النية والأمانة إشراقة في النفس وجمال	فيديو وكاسيت
٧	حديث النفس بين الدنيا والآخرة	فيديو وكاسيت
٨	التعامل مع مجتمع غير مسلم	فيديو وكاسيت
٩	وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه	فيديو وكاسيت
١٠	قضايا في الأدب الملتزم بالإسلام	فيديو وكاسيت
١١	المسلمون في الغرب بين الإسلام والعلمانية	فيديو وكاسيت
١٢	محاضرة الوصايا والمواعظ	فيديو وكاسيت
١٣	ندوة شعرية . عمان	فيديو وكاسيت
١٤	ندوة شعرية عن فلسطين	فيديو وكاسيت
١٥	ندوة شعرية . جامعة قطر	فيديو وكاسيت
١٦	ندوة شعرية . مؤسسة (مركز) الملك فيصل	فيديو وكاسيت
١٧	محاضرة : وحملها الإنسان	كاسيت

* كتب لمؤلفين آخرين:

الرقم	اسم الكتاب	اسم المؤلف	الطبعة
١	من ذخائر التراث الإسلامي	الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجي	ط١
٢	ملحمة بنت حواء المغربية	الدكتور عبدالرحمن عبدالوافي	ط١
٣	معجم مصطلحات الأدب الإسلامي	الدكتور محمد بن عبدالعظيم بنعزوز	ط١
٤	الإبدال والإعلال دراسة نظرية تطبيقية في قصيدة البردة	الدكتورة منيرة محمود الحمد	ط١
٥	النفخ في الطين قفو الأثر في أسماء السور	الدكتور حسن الأمراني	ط١
٦	قصيدة الإسراء	الدكتور حسن الأمراني	ط٣
٧	ديوان أين الطريق	الأستاذ حسن حمدالله النبالي	ط١
٨	قالت لي أمي - قصة	الأستاذة افنان سمير الحلو	ط١
٩	كمين في منتصف الليل	الأستاذة منى محمد العمد	ط١
١٠	إدارة المستشفيات والخدمات الصحية -ج١	الأستاذ حزام عقيلان العتيبي	ط١
١١	الأصالة والتجديد في الفكر الإسلامي	الدكتور راشد سعيد يوسف شهوان	ط١
١٢	الشهادة والشهداء في الإسلام	الأستاذ يوسف كامل خطاب	ط١
١٣	دور المواطن في مواجهة الكوارث والأزمات في عصر المعلومات	الدكتور خالد بن مسفر آل مانعه الغامدي	ط١

* كتب للنشر والتوزيع:

الرقم	اسم الكتاب	اسم المؤلف	الطبعة
١	مواقف من التاريخ العربي	الأستاذ سليمان مصلح ابو عزب	ط١
٢	موسوعة العالم في صفحات	الأستاذ سليمان مصلح ابو عزب	ط١
٣	موسوعة الـ ١٠٠٠ سؤال في العلم والمعرفة	الأستاذ سليمان مصلح ابو عزب	ط٤
٤	قطروالعالم الإسلامي-حقائق ومعلومات بيئية	الأستاذ سليمان مصلح ابو عزب وآخرون	ط١
٥	بيضة الديك	الأستاذ يوسف الصيداوي	ط١



شركة دار النحوي للنشر والتوزيع المحدودة

هاتف ٤٩٢٤٣٣٩- فاكس ٤٩٣٤٨٤٢

الموقع الإلكتروني : www.alnahwi.com
البريد الإلكتروني : info@alnahwi.com

ص.ب ١٨٩١ الرياض ١١٤٤١

المملكة العربية السعودية



إن الدين عند الله الإسلام دين جميع الأنبياء والرسل

لقد كثر في الآونة الأخيرة ترديد مصطلح الديانات السماوية التوحيدية الثلاث أو ما يشابهها. ولقد أشرنا في أكثر من كتاب إلى أن هذا المصطلح خاطئ ومخالف لنصوص الرسالة الخاتمة كما أُنزِلَت على خاتم الأنبياء والمرسلين محمدﷺ. وجوهر ذلك أن الدين عند الله هو الإسلام، دين واحد دين جميع الأنبياء والمرسلين، بعثهم الله جميعاً بهذا الدين السماوي التوحيدي الواحد على مرّ العصور والأجيال:

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (آل عمران :١٩).

ونرى الحقيقة جليّة في هذه الآية الكريمة وما تدلّ عليه . فهي تقررّ أن الدين عند الله دينٌ واحد هو الإسلام ، وأن اختلاف أهل الكتاب لم يحدث إلا من بعد ما جاءهم العلم الحق من عند الله بغياً بينهم ، ظلماً وعدواناً وانحرافاً عن الحق ، ومن لا يؤمن بأن الدين عند الله واحد هو الإسلام فإنه بميزان الله كافر بآيات الله ، وإنّ الله سريع الحساب.

ولما كان الدين الحق من عند الله ديناً واحداً هو الإسلام ، فلا بُدّ أن يكون المنتسبون إلى هذا الدين الحق الواحد مسلمين، وأن يكونوا مع الدهر كله أمّة واحدة تعبد ربّاً واحداً وتدين بدين واحد هو الإسلام.

إن أمر الله جليٌ بيّن لا لبس فيه ولا غموض، وهو تحريم التمزّق والشقاق بين المؤمنين ، لأن ذلك يضعف شوكتهم وعزّتهم ، ويوقع بينهم الفتن والصراع ، ويضعف الجميع عن أن يقوموا بالأمانة التي وضعها الله في أعناقهم، والعهد الذي أخذه منهم، وخلاصة ذلك كله من عهد وميثاق هو أن تكون كلمة الله هي العليا، وهذا أمر لا يتحقق إلا بأمة واحدة وصف واحد على دين واحد هو الإسلام، ودعوة واحدة إليه.

ردمك: ٩-٠٥-٨٠٧٢-٦٠٣-٩٧٨

مطابع الحميضي 2130130 01 الرياض